كتاب

ادب العرب

في الشعر الجاهلى

بحث تحليلى لشعراء الجاهلية

كتب مقدمته   حلل الشعر فيه وكتب تراجم الشعراء

محمد يوسف دخيل   محمود على قراعه

(مطبعة وادي الملوك بالعشماوي بمصر)

كلمة الاستاذ كريم خليل ثابت

عن الدكتور طه حسين

الدكتور طه حسين من نوابغ مصر المعدودين بل من نوابغ الشرق القليلين أن لاتكون من محبذي الدكتور طه في مبادئه السياسية وآرائه الدينية والاجتماعية ولكنه لا يسعك الا أن تعترف بنبوغه ونقدره حق تقديره

كريم خليل ثابت

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسوله الكريم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الاهداء

الى استاذى العزيز ـ الدكتور طه حسين

استاذ الادب العربي بالجامعة المصرية



هذا كتاب ، كتب (الاستاذ محمد يوسف دخيل) مقدمته ثم حالت ظروفه بينه وبين اتمامه ، فرأيت أن أقوم باعباء هذا الاتمام اجابة لطلب الناشر ، وخدمة للمباحث العلمية ، وذكراً لفضلك في اثارتها وهأنذا أقوم بهذا الواجب حباً في تقديم هذا الكتاب لك واهدائه اليك ، هدية تلميذ لاستاذه !!

محمود على قراعه

الفهرس

صفحة

الله

الاعتراف بقوة عليا مسيطرة علي العالم ومحركة لنظامنا الاجتماعى أمر محتم علينا والاقرار بوحدانية الله واجب مفروض وذلك مانرى اعتباره أساساً للبحث فى نظام المجموعة البشرية وتاريخ حياتها وتطوراتها منذ اليوم الذى تكون فيه أول هيكل من هياكل الانسان . هيكل آدم عليه السلام آدم ابن الفكرة العالية . ابن الارادة المقدسة . فكرة الله وارادته يوم رأى ان الوقت قد حان لرفع الستار عن مرسح الحياة التي ظهر عليها أول ممثليها وهما آدم وحواء

نريد أن ندعو دعاة المذاهب المادية الخاطئة فى أعتقادنا وفى اعتقاد الاجماع . الصائبة فى وهمهم وزعمهم . نريد أن ندعوهم للتفكير قليلا فى ادعاءاتهم واعتقاداتهم التي لا نشك في أنهم فى اضطراب فكرى دائم من أجلها ومن أجل مايساورهم من الشك في صحتها وبطلانها لأنهم أقاموا حجتهم علي مجرد الفروض والاحتمالات مما لامجال للبحث فيه هنا . وفاتهم أن حجة الفرض والاحتمال لايصح أن تكون أساساً للحكم على أمر من الخطورة بمكان لايستهان به وهو تحويل عقائد المجموعة من ناحية الاعتراف بقوة السماء المقدسة الى ناحية قوة مجهولة مفروضة هى قوة الطبيعة وان الانسان والحيوان وكل كائن من نتاجها . ولكن تلك الافكار المضطربة المتنافرة بها أدمغة أولئك الماديين لابد وأن تكون نتيجة بحث تنازعت فيه أمامهم قوتان احداهما من صنع الاخرى وهما قوة الله

وقوة الطبيعة ولكن أنصار الفكرة المادية في بحثهم انقادوا الى النظريات المادية ودرسوها ولم يرجعوا الى الشرائع السماوية وما احتوتها من نظم وأحكام لاشك ان فيها دلائل عقلية قوية كان من المستطاع الاستناد عليها لو رجع اليها فى تنازع البحث بين الفكرتين ... ولكن دعاة المادة أقاموا مذهبهم على مجرد التعمق فى الفلسفة النظرية فأنكروا قوة السماء وهى — الله — بل أنكروا وظيفة الرسل والانبياء واعتبروهم مجرد أفراد كانت لهم شبه سيادة على أقوامهم الذين نشأوا بينهم . ولم يعترف الماديون بأن الشرائع التي أتى بها الانبياء من صنع الله بل زعموا ان الرسل هم الذين سنوها لتكون لهم كبرامج يحكمون بها الطوائف والامم . والابعد من ذلك انهم تعمقوا فى ضلالهم الى مدى انكار ان آدم هو بدء الخليقة البشرية واعتبروه خلف لسلف لا بداية له كما انه سلف لخلف لانهاية له . وقد ذهب جماعة من شباب العصر الحديث مذهباً أضل وادعى الى الاسف مع السحرية فعللوا بآراء لا يمكن اعتبارها فكرة أن الكتب السماوية التي أنزلت على الرسل والانبياء في العصور السالفة لم تكن سوى بدع ابتدعها أولئك الانبياء وان ما أشيرفيها الى وجود بعث وحياة جديدة بعد الموت وعقاب ونعيم كل ذلك خرافة لايمكن أن يكون لها وجود مهما أقيمت على صحتها الادلة والبراهين وأتي الرسل من الخوارق والمعجزات . وعلى مايذهبون يجب أن يكون النظام الاجتماعى متمشياً مع روح النمو والتقدم العمراني فلايصح أن يتقيد نظام الكون بتشريع خاص قد لا يتعادل مع مقدار نهضة الشعوب ورقيها . ولعل في قولهم هذا معنى خاص يرمى

الي انكار أحكام الشرائع السالفة لأن رقى العقل الانساني ونهوض الفكر البشرى اصبح فى درجة لا يمكن التوفيق بينها وبين القوانين التي كانوا يخضعون لها من قبل . ولقد فات أصحاب ذلك الرأي ان أغلب تلك الشرائع ان كان بعضها خاص بعصر معين وقوم مقصودين ولكن أحكامها صالحة لأن يستند عليها فى عصور غير عصورها وبين أقوام غير أقوامها . أو ليس القرآن الذي بعث به محمد بن عبد الله تشريع صح لحكم قريش وغيرهم ممن خضعوا للراية الاسلامية ويصح لأن يتحاكم به العالم فى تلك العصور الحاضرة لانه لم ينزل لزمن خاص ولا لأقوام مخصوصين وسعة أحكامه كافية لخلود صلاحيتها لحكم الشعوب الي عصور تنتهي بانتهاء الكون كما انها جاءت موافقة لاغلب النظم والتقاليد التي كان يتبعها العرب وغيرهم من الامم التي عاشت فى أزمان الجاهلية وأطوارها كما سيأتى ذكره بعد فترة لأن أنصار القوانين الوضعية أعداء السماء وأحكامها ممن ينتصرون للمادة ويعملون لجعلها مذهباً شائعاً يقام على أطلال المذاهب الدينية وخصوصاً الاسلام

لنعد الى ما بدأنا به معترفين (أولا) بحقيقة وجود — الله — (ثانياً) الايمان بما جاءت به الكتب السماوية وأحكامها والرسل والانبياء الذين نشروا بين الشعوب تلك الاحكام معتبرين — آدم — عليه السلام هو أول أولئك البشر

بدء الكون

اشارت الكتب السماوية التي نؤمن برواياتها وذكر الرسل الذين نصدق باحاديثهم ان الله سبحانه وتعالى كان قبل بدء الخليقة على عرشه في السماء من عصور لا بدء لها فلما ارادت قدرته ان يبدأ في تكوين العالم قيل أنه خلق القلم فدون جميع ماقدره في الأزل وحوادث الامم والشعوب والافراد الي يوم البعث وهو اليوم الذي ينتهي فيه العالم والكائنات ثم خلق الليل وأعقبه بالنهار ليكون استعداداً لحركة جديدة في الكون ربما كانت خلق الملائكة يعقبها البدء الحقيقي لوجود الجنس البشري بخلق آدم وحواء عليهما السلام

خلق الله الملائكة وخلق من بينهم قبيلة اختصها بخزانة الجنة اولئك هم (الجن) فقد كانوا من الملائكة الممتازين لا كما يعتقد جمهرة الناس وخاصة المسلمون منهم أنهم خلقوا للعمل والحياة التي يعيشونها الآن — من بين تلك الطائفة كان ابليس الذي اقامه الله رئيسا على جميع الملائكة فحدث ان جماعة الجن أتوا ما أغضب الله فأنزلهم الي الارض وكانوا فيها مفسدين . ووقعت بينهم الفتن فقتلوا بعضهم بعضا حتي صحبت منهم الملائكة الذين احتفظوا بمكانهم من السماء . ولم يشترك أبليس مع قومه في عصيان الله ولذلك بقي في مكانته ولكن كرم ربه وحده حرك في نفسه نزعات الشر والطغيان فظن أنه اسمى من المكانة التي وضعه الله فيها فحدثته نفسه بالعصيان وادعاء الالوهية معتمدا علي ماكان يراه من طاعة الملائكة واحترامهم له بحكم رئاسته ولكن

لم تكن فى نفسه الجرأة الكافية فبقيت تلك النزعة كامنة وهي نزعة حسد وجحود وكان فى أمكان سيده ومولاه أن يعاقبه في ذلك الظرف لانه يعلم سريرته وما يجول فى نفسه من التمنيات الخبيثة ولكنه سبحانه عظم شأنه لم يرأدانة ابليس بمجرد النية والعزم على ارتكاب الجريمة فحفظها له وحتي لايظن الملائكة أن سيدهم عاقب ابليس لغير جريمة رأوا أنه ارتكبها فتأجلت العقوبة ليوم كان يعلمه الله ويعلم أن فيه يجاهر ابليس بخطيئته وعصيانه

كان ذلك في اليوم الذى جرت فى آدم روح الحياة بعد خلقه وتكوينه وقد أراد الله أن يتبع خلق آدم بخلق اول نوع من انواع النظام الاجتماعى هو نظام الحكم والجزاء الذي طبقه علي ابليس كبير ملائكته حين أمرهم بالسجود لأول انسان من خلقه فكانوا جميعا طوع أمره فخروا لآدم سجدا الا ابليس فقد ظهرت طوية نفسه وجاهر بانه غير خاضع لامر ربه استكبارا وعناداً . وهنا وقعت الجريمة ووجبت عليها العقوبة وكان هذا أول مثل ضربه الله لعبده آدم ليعلمه أن الله لا يعرف محاباة فى حكمه مهما كان للمرتكب عنده من الحظوة والمنزلة وقد رأي آدم بعينه كيف طرد ابليس من رحمة الله وحقت عليه النقمة والعذاب والتشريد الي يوم نهايته الجزاء الاوفى . يوم البعث والنشور .

كان ذلك المثل خير نذير لآدم اذ شعر بأن الله قدأعده لعمل حيوي هام هو الحياة أو مافيها من جهاد وقد لاتكون له الحرية فى النجاة من تطبيق عدل ربه كما لم تكن له العصمة التي تقصيه عن ارتكاب الخطيئة فقضى آدم وقتا من حياته فى الجنة ترافقه زوجته حواء وشبح الجريمة والعقاب

ماثل امام عينيه لانه رآها طوحا بأبليس في هاوية سحيقة القرار . أليس ذلك دليل حسي على أن المخلوق لا بد له لعتل فكرة الاجرام في نفسه من قانون يري فيه الانذار والتهديد والارهاب والوعيد ؟

للمرة الثانية يقع ما نسميه جريمة أو خطيئة والمرة الثانية تقام حدود العقاب ونتيجة ذلك ـ العدالة ـ عدالة السماء فهي التي خلقت كل شيء ووضعت نظام كل شيء . فالجريمة والعقاب والعدالة والعمران كلها من خلق الله وصنعه . فقد طبقت تلك الاحكام كلها على آدم وزوجته يوم غرر بهما ابليس فوقعا في الخطيئة والمعصية فأخرجهما الله من الجنة عقابا لهما على ماوقعا فيه ثم كان عفوه وغفرانه عند ماتوسلا اليه بالتوبة والاستغفار اعترافا بالخطيئة

لم يكن من المقدر لأبليس أن يعيش الى الأبد في ملائكيته كما لم يقدر لآدم أن يقضي حياته وأولاده من بعده في الجنة بل كل ماوقع كان امرا مقدرا من قبل في سجل تاريخ الكون ووضعت خطط تلك الوقائع لتكون عظة وعبرة لأقوام وشعوب قدر الله خلقهم من سلالة آدم وحواء

نزل آدم الي الارض فأول ماوطئت قدمه منها جزيرة (سيلان) جنوب بلاد الهند على جبل (نود) وجد نفسه وحيدا تائها لايدري أين مكان زوجته وما كان معه من بنيه(١) ولكن الله لم يتركه في تشريده وآلامه النفسية لما كان يعلم عما يجيش في صدره من مشاعر التوبة والاستغفار فأوحى اليه عن طريق الاحساس الروحي أن يسير في طريقه نحو الغرب حتي بلغ مكان من

---

(١) عن رواية من يقول بحدوث الولادة في الجنة

أرض الحجاز حيث ارتاح قلبه وشعر بأنه على وشك العثور على حـواء .
ذلك المكان هو الذي يطلق عليه (المزدلفة) . حيث اجتمع بعدها بزوجته وتعارف بها علي جبل عرفات الدى سمي بهذا الاسم لتلك المناسبة .

نظام العشائر

لم يكن آدم وحواء وحدهما ليكونا عائلة لو لم يكن هناك تناسل يتكون منه أبناء وبنات يصح أن يتكون منهم نظام عائلي توطئة للتوسع فى نظام الاجتماع ولقد كان آدم حقا أول مؤسس للعائلة بالمعني المعروف والمتفق عليه . كما أنه كان من افراد تلك العائلة مؤسسي العشائر والقبائل . ذلك النظام المعروف بأنه عبارة عن مجموعة من العائلات جمعتها رابطة واحدة أما رابطة الانتساب الي حد واحد أو عادة وتقليد مشترك . ولقد كان من اولاد آدم أول من كون هدا النظام وأن كانت سنة التوسع في عدد العائلات هي التي اوجدته ولـكن هدا لا يمنع من اعتبار من ظهروا على رؤوس العشائر مؤسسين لها وكان قابيل ممن كونوا نظام العشيرة كما كان شيث عليه السلام من مؤسسيها وكلاهما من أولاد آدم من صلبه . ولـكن تفاوت بعض العشائر فى التقاليد والعادات لم يكن لغير مناسبة لها علاقة ظاهرة بنفسية المؤسسين واخلاقهم لابد لنا من ذكر طرف منها فأن الخلاف الخلقى والنفسى المشاهد فى كثير من البشريين فى عصورنا الحاضرة يرجع الى جملة اسباب نخص بالذكر منها هنا حادثة تركت فى تاريخ البشر في صبيحة وجـوده أثرا في نفوس بني الانسان علي اختلاف الشعوب والطبقات . وذلك أن آدم عليه السلام بعد

نزوله الي الارض الهمه الله أن يسن لأولاده شريعة الزواج لاظهار حركة التناسل المرجو منها عمران الكون . ولقد كان من عادة حواء أن تلد توأمين ذكرا وأنثى. فكان قابيل وأخته التي ولدت معه من مواليد الجنة(١) .ولدتهما حواء قبل حادثة الخروج منها

ثم ولدت فى الارض هابيل مع أخت له وكانت شريعة آدم فى الزواج أن يتزوج كل من أولاده بشقيقة أخيه وتوأمته لحكمة ندركها اذا فهمنا معنى الزواج بأنه عبارة عن ايجاد صلة بين زوجين لم تكن موجودة من قبل حتي يمكن أن يتولد من تلك الرابطة الجديدة روح وفاق ومحبة هما أساس السعادة الزوجية . فلما عرض علي قابيل زواج أخت هابيل رفض وكبر فى نفسه أن يتزوج بغير توأمته وعز على نفسه أن يترك تلك التوأمة التي ولدت معه في الجنة ليتزوج بها هابيل وذهب به حب الايثار علي التمسك بشقيقته وعدم التنازل عنها لهابيل مهما كانت النتيجه لاعتقاده ان هابيل هذا وتوأمته من مواليد الارض فلم ينالا شرف المولد وطهارته كما نالها قابيل وتوأمتـه قام نزاع هائل بين قابيل وهابيل يدافع الاول عن حجته بسلاح نظري بحت ويدافع الثاني عن حقه بسلاح تشريعى سنـه آدم من وحي السماء . ولكن كانت نتيجة ذلك الخلاف أن تغلب قابيل علي أخيه هابيل فقتله! وكان ذلك أول حادث من حوادث القتـل البشرى علي وجه الارض . ولقد وقف قابيل امام جثة القتيل حائرا مضطربا وقد استولي عليه الرعب

---

(١) ابن الاثير

والحزع وتملكه الارتباك فلم يدر كيف يخفى جريمته المنكرة عن عيون اخته اللتين كانتا موضع النزاع وداعية القتال .

ان البشر فى الواقع من ممتلكات الله يفعل بهم مايشاء فى سبيل اظهار آياته وحكمه امام خلقه ومعاذ الله أن نقصد به غير التقديس والاجلال اذا قلنا أنه يضحي بأفراد من عبيده فى سبيل عظة المجموعة وهكذا قدر لهابيل أن يموت قتيلا ليرينا أن فى سجل الحياة المقبلة نوع من تلك الجريمة ستكون وسيلة الامم والشعوب فى تكوين وحدتها . ولم تكن هداية الله لتترك قابيل في حيرته معرضا جثة أخيه للوحوش والهوام فأراد أن يضع للبشر نظاما خاصا لمواراة موتاهم فبعث غرابا نبش فيالارض امام قابيل فأدرك من هذا المشهد أن يحفر الارض حيث وارى جثة القتيل وبعدها سار كل بنى آدم علي ذلك المثل فى دفن جثث موتاهم فى باطن الارض .وقد تمكن الهلع من نفس قابيـل وشعر بعظم الجريمة فلم يطق البقاء في مكانه بل استصحب شقيقته وفر بها هاربا الى مكان قصى بارض اليمن حيث تزوج بها وصار له منها ابناء وفر عددهم وعظم سلطانهم ونفوذهم

كان دم هابيل أول دم بشري أريق علي الارض وهو الضحية الاولى التي خلقت في الوجود أول نزعة من نزعات البغضاء والعـدوان بين بني الانسان بل كل ماعدا ذلك من التفاوت فى النفسية والاخلاق والعادات وغيرها من كل خلتـين متناقضتين

ولـكن عجباً ! كيف أن قابيل وزوجته وقد ولدا فى الجنة قبل أن يرتكب ابواهما الخطيئة ومع ذلك نراه هو أول من سن سنة العداء والاجرام

الحقيقي بين البشر . ونرى كيف أن شيث الذى لم ينل شرف المولد الذي ناله أخوه قابيل ومع ذلك تكون له الحظوة في خلافة أبيه فى الزعامة بل شرفه الله بالنبوة وكان من سلالته خير الرسل والانبياء واصحاب العروش والتيجان بينما استسلم قابيل لابليس الذي غرر بأبيه فاقصاه عن الجنة ووسوس له قتل أخيه هابيل . استسلم له هـذه المرة حيث غرر به الى عبادة النار فعبدها مستنكرا وجود الرب الحقيقى الذى خلقه وخلق أباه من قبل سنة سيئة سنها قابيل لأولاده اذ عكفوا علي عبادة النار والسجود لها من دون الله . . . هـذا قابيل ابن الجنة امام المجوسية فى باكورة الوجود . وهذا شيث ابن الارض أمام العبودية الحقة . عبودية الله القدوس .

ثم تتقيد سلالة كلا الاخوين بما ورثوه عن أبويهما من صالح الخصال وخبيثها بل كثيرا ماكان يظهر من سلالة قابيل خير الامم وأعاظم الرجال وكثير ما كان يظهر من سـلالة شيث النبى وعلى كل حال فوجـود فارق واختلاف في اخلاق رجلين من أولاد آدم قضى علي روح المساواة ليكون ذلك أساس التنازع الاساسى فى الحياة





نظام القبائل

انفصل أولاد آدم عن بعضهم وتفرقوا في جهات عـير متباعدة من الارض ولـكن كان أوسعهم ملـكا وأكثرهم نسلا هما قابيل في الجنوب وشيت في الشمال . فلما كثرت أولاد كل منهما واحفادهما وازدحمت بهم البلاد التي كانوا يقيمون فيها اضطرتهم ضرورة التوسع الى النزوح كل عشيرة فى جهة فنشأ من عشائر القابليين مجموعة قبائل انتشرت فى جهات جزيرة العرب حتي اتصلت بقبائل الشيثيين وكان شيت قبل ذلك مقيما بارض الحجاز علي رأس قومه حيث وضع لهم نظاما تشريعي خاص استمده من الارشادات والاوامر التي نزلت عليه وعلى أبيه من السماء واستمر الشيثيون يتحاكمون بمقتضاها عصرا طويلا حتي بعد وفاة نبيهم شيث

وبحكم المتاخمة والجوار بين قبائل بني قابـيل وبنى شيت نشأت بعض مناوشات وحروب اضطرت أهل الشمال فى النهاية للتراجع الي الوراء . ولم يستمر الشيثيون في موطنهم كتلة واحدة بل انقسموا الى قسمين فأولاد (أنوش) نزحوا الي الغرب والجنوب وامتدأولاد (حومرت) الى الشرق وكلاهما من أولاد شيث

نظام الملكية

لم يكن نظام الملكية بدعة ابتكرها انسان عن رغبة خاصة فى نفسه وانما اقتضت سنة النظام الاجتماعى وجود مثل ذلك النوع من الحكم وخصوصا فى مثل تلك العصور الغابرة ولندلل علي ان الانسان فى كل اطواره خاضع لذلك النظام نوضح ماهى الملكية وكيف تنشأ فكرتها . فالملكية تنحصر فى أن كثرة العشائر والقبائل أما أن يؤدي الي تكوين شعب لا بد له من رئيس يحتكم اليه . أو يؤدى الي وجود رغبة في نفوس زعماء العشائر تحملهم على الطمع فى بعضهم تكون نتيجته الحروب والمنازعات فتكون الغلبة فى النهاية لقبيلة من تلك القبائل فتصبح القبائل المنهزمة خاضعة بحكم الهزيمة الي الزعيم المنتصر . وهنا تظهر السلطة الفردية . سلطة ذلك الزعيم على جملة قبائل متعددة فينتقل سلطانه من حكم قبيلة واحدة الي حكم مجموعة من القبائل خضعت له فى صورة شعب واسع تحت نظام أوسع هو نظام الملكية فلو علمنا أن النزاع بين بنى الانسان أمر مسلم بدوامه وأن السلام بين الامم والافراد لا يمكن توطيده ادركنا ان الزعامة والملكية نظام يعيش مدى حياة البشر . ولقد علمنا من مراجعة كثير من المراجع التاريخية المعتمد برواياتها أن أول نظام ملكي ظهر فى الوجود كان في عهد (اوشهنج) من احفاد شيث عن ولده (انوش). فقد اشتد بأسه وعظم سلطانه وامتد نفوذه علي كل من كان حوله فخضعوا له جميعا ونودى به ملكا فكان هو أول من لبس التاج على رأسه وجمع في يده السلطة التنفيذية والتشريعية

والقضائيه . ومع أن شريعة آدم قدمضى عليها وقت كاديتناساه الناس ولكن (اوشهنج) رأى انه غير مقيد بتلك الشريعة فسن قانونا جديدا للعمل بمقتضاه في المشكلات التي كانت تقع بين افرادشعبه .وكان هو الحاكم بمقتضى ذلك التشريع والمنفذ لما يحكم به على المجرمين من العقوبات ومع تلك السلطة الفردية لم يكن ظالما فى حكمه بل كان عادلا عاقلا اكسبه ذلك محبة شعبه ورهبة اعدائه ولذلك لقب بالملك العادل وقيد شعبه بالخضوع لمناهى شريعة آدم لما كان يري فيها من الحكم لانها منسوبة الى السماء

فى عهد (اوشهنج) توصل الانسان لاكتشاف المعادن فى باطن الارض فاستخرج منها الحديد واستعمله فى بعض الآلات وانتشرت الزراعة فى عهده

وكان الناس حتي قبل عهد (اوشهنج) يسكنون في اكواخ من الحطب وأوراق الاشجار وبعضهم كان يسكن فى كهوف فى بطون الجبال فلما تم (لاوشهنج) الملك بنى له مدينة قيل أن علي انقاضها بنيت مدينة (بابل) أو هى نفسها فاتسعت في عهد البابليين وسميت باسمهم

الوثنية

أن تكن الوثنية أنكار لدات الله الا أنها اعتراف بالسلطة العايا التي يجب أن يخضع لها الانسان وقد خضع لها الناس فى صورة الأوثان . وكان من المستطاع الاهتداء الي صاحب تلك السلطة وهو (الله) لو انهم رأوا على رؤوسهم المرشدين من الرسل فى ذلك الظرف الذى تطرق فيه الي اذهانهم فكرة البحث عن صاحب السلطة الحقيقية رب الوجود وخالق الكون

فى ذلك العصر العابر من تاريخ الانسان أتي على البشريين عهد طالت أيامه . فبعد أن كانوا من عهد آدم ألي عهد الملك (اوشهنج) مهتدين ألي حقيقة وجود الله . ضرب عليهم النسيان سحابة من سحب الغفلة فنسوا الله ونسوا وجوده ولكنهم فى الوقت نفسه أخذوا يشغلون أفكارهم فى البحث عن سر هذا الوجود ولكن على قدر قواهم الفكرية استطاعوا أن يتخيلوا الاله في هيكل الأوثان فعكفوا على عبادتها

شاعت الوثنية فى عهد (يرد) الذي تملك بعد (أوشهنج) وهي دليل تفكير طويل ولكنه انتهى بخطأ القوم فى الوصول الي حقيقة الخالق وهذا لا يمنع من اعتبار الوثنية عقيدة لا تدل علي جهل معتقيها وقتئذ بل على تنبه عقولهم للبحث فى خلق الكون

ومع انتشار فكرة الوثنية فى ذلك العهد بقيت الشريعة الوضعية التي سنها الملك (اوشهنج) سائدة محترمة فيما يختص بالمعاملات

مقاومة الوثنية

لا بد أن تكون لله حكمة عالية في وجود عقائد تنسى الخلق حقيقته حتي يكون ذلك وسيلة لبعثة الرسل الذين يطهرون حقيقة وجوده ويوقظون الاذهان الغافلة عن عبادته وتوحيده . وهكذا انتصار دعوة الوثنية انتهي الي ظهور (ادريس) عليه السلام مبعوثا من عند الله لارشاد قومه وحضهم علي الاعتراف بالله الواحد ساكن السماء .

لم يكن (ادريس) نبيا وحسب بل كان عالما وحكيما ومفكرا فهو اول من استعمل القلم وربما كان أول مخترع للرموز الكتابية خلافا لنسبتها الى غيره . وهو أول من فكر في البحث عن حقيقة الكواكب حتي اهتدي الي كنهها وفهم علومها كما انه اول من فكر في استعمال علم الحساب . وقيل أن نبوته كانت فى عهد ابيه (يرد)

جاهد ادريس ضد الوثنية جهادا طويلا حتي استمال جانبا كبيرا من معتنقيها الى الاعتراف بالله ووحدانيته فكثرت أعوانه وأنصاره فكون منهم جنود جاهد بهم بني قابيل الذين اغاروا علي قومه من الجنوب فهزمهم ادريس واسر منهم كثيرا من الاسري الذين استرقهم وجعلهم عبيدا وموالي ولكبار قومه فازدادت بذلك نار العداوة اشتعالا بين القابيليين وقوم ادريس

وقد نزل علي ادريس عليه السلام نحو ثلاثين صحيفة ولكن احكامها كانت مطابقة لشريعة آدم ولذلك انما كانت اعادة لها ولم يكن فى شريعة ادريس مايخالف شريعة آدم الا مسألة واحدة هى تغيير قاعدة الزواج فقد

كانت شريعة آدم كما ذكرنا مقيدة نظام الزواج فى الاقتران بالاخت الا بين التوأمين ولكن مضي الزمن وانتشار عدد البشريين وحاجة العشائر والقبائل الى الروابط والامتزاج دعا الى تخطى ذلك النظام ومنح الرجل الحرية فى التزوج ممن أراد بل كادت عادة زواج الاخت تهمل تماما. فقد تزوج (ادريس) من (هدانه) بنت (ياويل) وهى لم تكن اختا له .

قبل أن تنتهى أيام ادريس أوصى ابنه (لمك) بالمحافظة على شريعته مالم تنزل عليه شريعة غيرها . ونصح قومه بعدم الاختلاط ببني قابيل خوفة عليهم من الوقوع فى خطاياهم .



عودة الوثنية والصابئية

عاد القابيليون بعد وفاة ادريس ينشرون دعايتهم ويغررون بجيرانهم ولكن بالرغم من نصائح (لمك) وتحذيره قومه لم يجد منهم غير اذان صماء فخالطوا القابيليين ونزحوا اليهم فى مواطنهم . فلما ولد (نوح) لم يجد مع أبيه غير أفراد قلائل من قومه ووجد أن عبادة الاوثان قد شاعت بين القوم من تأثير دعاية أهل الجنوب

ولم تستقل الوثنية بالسلطان بل ظهرت عقيدة دينية أخرى زاحمتها فى اجتذاب عقول القوم . زعيم هذا المذهب الجديد رجل من رعية (لمك) يدعى (صابيء) فقد اقنع فكره بان الله هو آله حقيقي ولكن عدم امكان رؤيته رأي العين دعته الى اتخاد الملائكة آلهة تقربه الي الاله الحقيقى ولكن هذا الاعتذار فى عدم عبادة الله مباشرة اعتذار فيه الضعف نفسه وأن الملائكة الذين لجأ الى عبادتهم ليست لهم شخصية ظاهره ممكنة من مشاهدتهم بالعين والوثنية وأن لم تختلف عن الصابئية فى انها عقيدة خاطئة ألا أن فيها الاعتذار الذي يبحث عنه زعيم الصابئية فقد كانت الاوثان في ظروف كثيرة رمزاً لوجود الله وأن كان الاكثر في تاريخها انها اتخذت آلهة أولي .

وكانت شريعة ادريس وآدم لا زال العمل بهما مقررا بين الناس في أحكام المعاملات كعقوبات السرقة والقتل وماشابههما الي أن جاء عهد نوح فهد فى الشريعة حديثة مغايرة لما كان عليها .

الطوفان

نشأ نوح عليه السلام بين قوم يتقاتلون في سبيل نصرة مذهبين كلاهما عقيدة ضالة باطلة . وأوحى اليه الله ان يدعو القوم الى المعبود الحقيقي . ولكن عقيدة الكفر والضلال كانت قد تمكنت من عقولهم واستولت على قلوبهم فلم تؤثر فيهم دعوة نوح بالرغم من مثابرته قرونا معدودة في نصحهم وارشادهم فلم يزدادوا الا ضلالا وطغيانا . فلما يئس من اصلاحهم دعا ربه أن يصب عليهم نقمته وعقابه فكانت حادثة الطوفان التي ما توافيها مغرقين لم ينج منهم الا من آمن مع نوح واحتمى معه بالسفينة .

فلما انحسر الماء عن الارض ونزل اليها نوح ومن معه من قومه كان ذلك العدد كاف لتكوين عشيرة بل عشائر وان كان بعض مؤرخي العصور الاولى الذين كتبوا عن حادثة الطوفان يذكرون ان كل من كان مع نوح في السفينة أصابهم الله بالعقم فلم يكن لهم ذرية من اصلابهم وانما تنحصر كل الذرية التي تكونت منها المجموعة البشرية في أولاد نوح الثلاثة (سام وحام ويافث) وهذا القول لا نستطيع الاخذ به بحال ما أذ لم يقم عليه أي دليل عقلي أو أشار القصص المذكور في الكتب السماوية أية اشارة الى ذلك . ثم لا يمكن للعقل أن يسلم بان قوما آمنوا بربهم وناصروا نبيه نوح وشاركوه في تحمل الاذى والاضطهاد وبعد ذلك يجازيهم الله بالعقم ! حقا أن ذلك غير معقول وإلا لكان وسيلة للشك في عدالة الله وهذا بعيد لا يمكن التسليم به

فادا ما سلمنا بأن رواية العقم هذه غير حقيقية وحب أن نبعد عن عقولنا وكرة أخرى وهى انقطاع أثر بنى قابيل في حادثة الطوفان . فلم لا نصدق أن نسل قابيل لم ينقطع وأن له بين الشعوب والامم من تربطهم به رابطة النسب . والتصديق بذلك الرأي أقرب الى العقل والضمير من التصديق برواية انقطاع نسل من كان مع نوح فى السفينة ولقد علم لنا باجماع الرواة أن ادريس النبي لما حارب بني قابيل اتخذ من أسراهم أماء وعبيدا كانوا فى حاشيته وبالطبع كانوا هم أعوانه وأنصاره والمعقول أن يكون العبد ملازما لسيده متتبعا طريقه الذى يسير فيه فعلى هذا الفرض (وهو الاصح) كان من سلالة هؤلاء الاسرى موالي لنوح حملتهم رابطة التبعية على التصديق بنبوته واعتناق مذهبه فاحتملهم معه في السفينة فكانوا من الناجين . وعلى ماراأينا من عدم قطع تناسلهم نشأت منهم ذرية اندمجت بذرية سام ابن نوح وذرية أخويه وجماعته .

ولما كان من الممكن حصر ذرية سام فى شعوب معروفة مثل العرب والفرس ومن ينتسب اليهما من الشعوب الصغيرة وذرية حام في السودانيين والبربر وذرية يافث فى بعض شعوب اوربا وشمال آسيا كالمغول والقوط والغاليين . فعلى ذلك القياس نستطيع أن نعرف لمن لا علاقة له بهذه الشعوب من الامم الاخري القاصية في الشرق نسب وصلة الى اولئك الذين نجوا مع نوح غير أولاده الثلاثة وعلى هذا نري أن حادثة الطوفان لم تضيق دائرة البحث فى معرفة أصل من تناسل منهم البشر بل هى لا تزال واسعة ولا يزال لنوح شركاء فى تبني الامم والشعوب

على أن التغيير الوحيد الذي حدث بعض الطوفان أنما هو تكوين الامم تكوينا حقيقيا ادي الي انتظام الحركة الكونية فظهرت دول ذات شأن عظيم في التاريخ مثل العرب والفرس والبابليين والاشوريين والمصريين وغيرهم من الشعوب التي بكرت بالظهور في ميدان الحياة . ولقد تركت كل من تلك الدول اثرا في تاريخ العمران لايجمل معه اغفال ذكر شيء من تاريخها لولا اقتصارنا في البحث عن فكرة واحدة . هي فكرة النظم الاجتماعية . والظروف التي ظهرت فيها تلك النظم . ولما كان اعظم جانب يجب البحث فيه عن تاريخ التقاليد والشرائع أنما نراه في تاريخ العرب في العصر الجاهلي فقد رأينا أن نكتفي بما دوناه من النبذة التاريخية في تاريخ الانسان الاول الى عهد الطوفان



العرب

يمكننا أن نعين مبدأ تاريخ الامة العربية على وجه التقريب من عهد عابر اذا استثنينا العرب البائدة اذ لم يكن بينهما رابطة سوي أنهما يتصلان عند سام ابن نوح . فان (فالغ) رأس العرب المستعربة و (قحطان) رأس العرب البائدة كلاهما من ولد (عابر) ولو علمنا أن الاخوين استقل كل منهما عن الآخر لداع من دواعي المنافسة عرفنا كيف أنشأ كل منهما أمة وشعبا قائما بذاته كان له شأن يذكر في تاريخ أمة العرب . وذلك الخلاف بين بني فالغ وبني قحطان حدا بكل من الفريقين الى استنباط لغة خاصة واتخاذ تقاليد وعادات تميزه عن الآخر متمشية مع الجو والبيئة والظروف التي يكون فيها القوم تبعا لحالة التنقل والارتحال التي اتخذوها وسيلة للعيش

كانت لغة القحطانيين هي العربية وان كنا لا نستطيع ان نعين بالضبط العصر الحقيقي لمبدأ هذه اللغة فربما لم تكن من اختراع القحطانيين بل اخذوها عن اسلافهم . ولو احتملنا رجوع اللغة العربية الي عهد آدم فليس هناك من الادلة ماينفي ذلك الاحتمال ويبعد عن افكارنا تلك الشكوك

في زمن ابراهيم عليه السلام حدث ماحمل بني فالغ على الاندماج ببني قحطان وتكوين قبيلة من ذلك الاندماج وهي العرب المستعربة . وذلك ان اسماعيل حينما نفاه والده بارض الحجاز مع والدته وفقته الظروف للاختلاط باحدي قبائل القحطانيين وهي قبيلة (جرهم الثانية) فتزوج منهم اسماعيل واستعمل لغتهم العربية حتي صارت لسانا له ولاولاده من بعده الذين اطلق عليهم العرب

المستعربة واليهم ينتسب عدنان جد النبى صلي الله عليه وسلم

ومن أشد القبائل التي نشأت من تلك الدول العربية .

طسم وجديس وعمليق وعاد وثمود . من العرب البائدة وكانوا مشتتين فيما بين الحجاز والشام ونجد واليمن . وقبائل حمير وكهلان وكنده وطيء. من العرب العاربة . وكانوا يسكنون اليمن ثم انتشروا فى انحاء بلاد العرب وقبائل مضر وربيعة وانمار واياد وهم العدنانيون بنو اسماعيل بارض الحجاز



الزواج فى الجاهلية

كان نظام العائلة فى الجاهلية قريب المشابهة به في الاسلام . فقد كانت عندهم الخطبة وعقد النكاح وأن كانت لهم فى اتخاذ الزوجات عادات لم تكن مستحسنة كزواج الرجل من زوجة ابيه ويسمى ذلك الزواج (نكاح المقت) و (نكاح المتعة) وهو اتخاذ الزوجة لمدة معينة . كما كان الجمع بين الاختين من المألوف عندهم وأن لم تذكر لنا حادثة معينة مشيرة الى ذلك ولكننا نعلم ان شريعة ابراهيم عليه الاسلام لم تحرم الجمع بين الاختين وقد كانت تقاليد تلك الشريعة شائعة بين العرب وان تناسوها من الوجهة الدينية . ولقد جمع سيدنا يعقوب بين الاختين فقد تزوج من ابنتي خاله (لايا) و(راحيل)

وكان من الانظمة التي بالغ العرب فى التمسك بها عصبيتهم فى الزواج فلم يكن من اللائق ان يزوج الرجل ابنته من غير عائلته ومادام لها ابن عم هو أولي بها من رجل غريب عن العائلة أذ كان الشاب يعتبر نفسه المالك الحقيقى لابنة عمه لا تزف لبعل سواه الا بارادته وبعد تنازله . وهذه عادة لا بأس بها بالنسبة لغيرها من عادات الزواج فى الجاهلية .

وكانت الزوجة فى الجاهلية ليست لها منزلة الزوج ومكانته وان كانت له ساعدا قويا فى ظروف كثيرة فقد تراها فى الحرب جانبا من جوانب الدفاع ان لم يكن بسلاحها فبما تبثه فى قلوب الرجال من عواطف الحمية والشجاعة لأن الرجل كان يري العار فى تخاذله امام زوجته أو خطيبته . كما يري الفخر في أظهار بطولته امامها

ومن اهم ماحدث فى تاريخ الزواج في الجاهلية أن احد ملوك جديس

دفعته نزعة الظلم وشهوة الفجور الي سن نظام حديد يقضى بأن لاتزفه عروس من جديس الى زوجها الا بعد ان تقدم اليه اولا ليفتض بكارتها. فصادف ان تزوجت عفيرة بنت عباد فذهبوا بها يوم الزفاف الى الملك، فلما دخلت عليه قضى منها غايته فخرجت الي قومها فى دمائها وقد مزقت ثيابها كاشفة عن عرضها المغتصب وهى تقول

لاأحد أذل من جديس　　أهكذا يفعل بالعروس ،
يرضي بذا ياقوم بعل حر　　أهدى وقد أعطى وسيق المهر

ولما وصلت قومها وقفت بينهم بحالتها المؤلمة تقول .

ايجمل مايؤتي الي فتياتكم　　وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشى فى الدماء عفيرة　　جهاراً وزفت فى النساء الي بعل
ولو أننا كنا رجالا وكنتم　　نساء لكنا لا نقر لذا الفعل
فموتوا كراما او اميتوا عدوكم　　ودبوا النار الحرب بالحطب الجزل.
والا فخلوا بطنها وتحملوا　　الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقام على الأذى　　وللموت خير من مقام علي الذل
وان انتم لم تغضبوا بعد هذه　　فكونوا نساء لاتعيب من الكحل
ودونكم طيب النساء فانما　　خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فبعداً وسحقا للذى ليس دافعا　　ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

فأهاج ذلك شعور القوم واثار عواطفهم وقام الأسود بن عباد اخو عفيرة ودعا قومه الى رفع ظلم عمليق عنهم فاتفقوا علي عمل وليمة للملك ولما حضر مع خاصته واعيان قومه عاجلوهم اثناء الطعام واحاطوا بهم حتي افنوهم . . .

الولادة

اذا وضعت الزوجة غلاما ذكراً يكون ذلك يوم بشرى وسرور تقام فيه الافراح وتذبح الذبائح وتولم الولائم ويرتفع قدر الزوجة عند زوجها بخلاف ما اذا كان المولود بنتا فقد يكون يوم حزن وبلاء ترى فيه الزوجة من اعراض زوجها ما يبغضها فى معاشرته لما تلاقيه منه من الذل والمعايرة بسبب طفلتها . . .

ومن العادة التي شاعت فى الجاهلية وأد البنات أو نفيهن في الجبال يرعين الأبل لايهتم بأمرهن ولا يفكر فى شأنهن . ولكن اذا ما كبرت البنت وترعرعت تحولت عاطفة الوالد من كراهية الى حب يزداد تبعا لمقدار نباهة البنت وجمالها .



وكان الوشم معروفا في الجاهلية وشائعا بين النساء خلافا لمن يقدم زمنه الى ما بعد الأسلام واليك دليل علي وجوده فى الجاهلية ماذكره طرفة ابن العبد في قوله :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

الختان

عرف الختان فى الجاهلية من عهد ابراهيم عليه السلام فاتخذه العرب عادة جارية . وكانوا يختنون الطفل قبل بلوغه الحول الاول . كما كانوا يختنون البنات وان كانوا اقل اهتماما بهن في ذلك لضعف مكانتهن

الميراث

كانت قاعدة التوارث في الجاهلية غير مقيدة بنظام خاص بل كان ذلك متروك الى ارادة المورث ورغبته فأما ان يتحالف رجلان علي ان يكون لأحدهما ما للآخر من المدافعة والمطالبة بالدم فى حالة قتل احدهما فمن مات منهما قبل حليفة آلت اليه ثروته وميراثه ثم كانت عادة التبني متبعة عندهم فكان اذا تبني الرجل ولدا من غير صلبه ورباه بين أولاده صار للولد الحق فى ميراث مربيه كما عليه ما على اولاد مورثه من الواجبات

وقد يغالي بعضهم فى حرمان اولاده الصغار وزوجته من ميراثه ويهبه لمن اشتهر بالبطولة والشجاعة من قبيلته فكان للفرسان في الجاهلية ثروة طائلة تأتيهم من ذلك الطريق .

الطلاق

كان عقد النكاح فى الجاهلية بيد الرجل ولذا كان بيده أيضا طلاقها .
وكان الطلاق علي انواع منها .

(طلاق المراجعة) فكان الرجل يطلق زوجته حتي اذا بانت راجعها ولم يكونوا مقيدين بمرات معينة فى الطلاق ولذا كان الرجل يطلق زوجته ويراجعها مرات متعددة حتي كانت المرأة اسيرة فى يد زوجها . ولكن كان اعيان العرب يستعيبون تعدد الطلاق والمراجعة فلم يكن الرجل الشريف يطلق زوجته اكثر من ثلاث مرات وبعدها لا يقربها . وكانت هذة شريعة ابراهيم عليه السلام

(طلاق الظهار) وهو الانفصال النهائى بين الرجل وزوجته فلا تحل له بعد . . . وذلك بقوله لها « انت على كظهر أمي »

(طلاق الايلاء) وهو ان يطلق الرجل زوجته لمدة معينة فلا يجوز ملامستها حتي تنقضى هذه المدة

ولم يكن للمطلقة الحق فى التزوج الا بعد وفاة العدة المعروفة عندهم . وأما من توفى عنها زوجها فكانت عرفا سنة كاملة تمنع نفسها أثناء ذلك من التزين بزينة النساء . كما سنبين ذلك فى العادات المنسوخة

عقوبة المجرم

كانت أذا وقعت جريمة من جرائم القتل أو السرقة أو غيرها وحامت الشبهة على رجل من قبيلة المعتدى عليه أو قبيلة أخري يطلب صاحب الحق من شيخ القبيلة التي ينتمى اليها المتهم فتنعقد لذلك هيئة قضائية برئاسة الشيخ وعضوية بعض اعيان القبيلة . فاذا ثبتت أدانة المتهم طبقت عليه الأحكام المتبعة وهي.

(قطع اليد) علي السارق

(الرجم) علي الزانى أو الزانية

(القتل) علي القاتل عمداً

وقد يستبدل حكم الاعدام بدفع فدية لأهل المقتول وهى الف بعير اذا كان المجني عليه من أشراف العرب ومائة اذا كان من عامتهم. وقد يعجز المحكوم عليه احيانا عن دفع الدية لعدم القدرة وكانت تدفعها له أفراد قبيلته متعاونين لأنقاذه من عقوبة الأعدام . وكان أمير القبيلة هو صاحب

الحق فى اصدار الحكم وتنفيذه كما كان المحكوم عليه الحق فى استئناف الحكم بتقديم ضمانة كافية . أذا كان لديه أدلة يريد تقديمها لنفى التهمة عنه . . .

هتك العرض

قل أن تحدث جريمة من هذا النوع فى الجاهلية والا فقد تكون نذير الويل والحرب بين قبيلة المعتدى وقبيلة المعتدي عليها قد تفني فيها مئات الرجال انتقاما لعرض البكر ودفاعا عن شرف القبيلة وسمعتها

العادات المنسوخة

وهل هناك تشريع أجل وأعظم من القرآن وقد طهر نظم التقاليد والعادات الجاهلية مما كان يشوبها من أمور كانت متفشية بين قبائل العرب ولكنها كانت نقصا وعيبا يشوه جمال الاخلاق البدوية الكريمة .والقرآن كما سنذكر قانون خضع له العرب ودفعهم هذا الخضوع الي التحلي عن عقائدهم وعاداتهم التي قص القرآن بطلانها أو رأى العرب استهجانها فا طلوها . وأهم تلك العادات

(١) الكهانة وهي الاخبار عن الغيب اذ كان الكهنة يستعينون بالشياطين (١) علي استراق السمع من السماء وقد كان فى الجاهلية كهنة يعتمد العرب كلامهم

---

(١) وتؤيد هذه الرواية قوله تعالى (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)

ويثقون بأخبارهم . واعجب ماوصل الينا عن طريق الرواة ان هند ابنة عتبة بن ربيعة كانت زوجة رجل يقال له الفاكه بن المغيرة المخزومي . وكان له بيت خاص للضيافة يأوي اليه الناس من غير اذن .وصادف ان الفاكه اضطجع مع زوجته هند في دار الضيافة في يوم لم يأو اليه أحد ثم نهض الفاكه من جوار زوجته وخرج لقضاء حاجة له ثم أن رجلا ممن اعتادوا ارتياد البيت اقبل كعادته ودخله فلما أبصر هند رجع مدبرا فابصره الفاكه فداخله الشك في زوجته وأقبل عليها فركضها برجله وهو مدفوع بغضب الغيرة فاستيقظت من نومها . فقال لها — من ذا الذي خرج من عندك — فقالت لم أر أحد وانت الذي انبهتني — فقال لها — اذهبي الى بيت ابيك فأقيمي عنده — فلما ذهبت هند الى بيت أبيها وفشى الحديث حول هذا الحادث بين العرب تكلم عتبة بن ربيعة والد هند مع زوجها الفاكه وقال له — أنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن — فخرجا في وفد من قومهما الي اليمن يقصدان احد كهنتها ومعها هند بين بعض النسوة فلما قاربوا موضع الكاهن قالت هند لأبيها — أنكم تأتون بشرا يصيب ويخطىء ولا آمنه ان يسمني ميسما يكون علي سبة — فقال أبوها سأختبره لك — وصفر لفرسه — حتي ادلى أدخل في احليله حبة حنطة — فلما دخلوا على الكاهن قال عتبة . أنا قد خبأنا لك في أمر وقد خبأت لك خبأ اختبرك به — فانظر ماهو — فقال الكاهن (ثمرة في كمرة) فقال عتبة — أريد أبين من هذا — فقال (حبة بر في أحليل مهر) فقال له عتبه انظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل الكاهن يدنو من كل منهن فيضرب بيده علي كتفها و يقول انهضي حتي انتهى الي هند فقال لها (انهضي

غير رسحاء ولا زاية . ولتلدن ملكا اسمه معاوية) فاغتبط الفاكه لذلك وقام اليها فرحا لزعمه أنه أب ذلك الملك فأخذ بيد زوجته ولكنها جذبت هامنه بكبرياء وأنفة وقالت — اليك عني ! فوالله لاحرص على ان يكون من غيرك وطلقت منه وكان ماكان من تزوجها من أبي سفيان بن حرب فولدت له معاوية وصدق تنبؤ الكاهن اذ انتهي الامر بمعاويه فدانت له الخلافة وملك المسلمين كما سيأتي

ومما يدل علي مقدار مكانة الكهنة ان جماعة منهم اخبروا ببعث النبي صلي الله عليه وسلم قرب ظهوره منهم الراهب بحيرا وسطيح الكاهن وقس بن ساعدة الايادي خطيب العرب المشهور فى العصر الجاهلي وسيف بن ذى يزن . فكل هؤلاء اشاروا الى مبعث النبي وصدقت تنبؤاتهم

(٢) الزجر والطيرة . كان العرب اذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتي يطير . فان طار يمينا كان له حكم وان طار شمالا كان له حكم وان طار اماما كان له حكم وان طار وراء كان له حكم ولذا سميت الطيرة وكان اشهر الطير المعتمد المتفاءل بها الغراب ثم تعدوه الي بعض الحيوانات وكذا الجمادات فى حال حدوث كسر او نحوه . وان لم يرد فى القرآن نص صريح بابطال الزجر والطيرة ألا أن السنة قضت ببطلان حكمها بقوله صلي الله عليه وسلم (أقروا الطير فى وكناتها)

(٣) الميسر . وهو ضرب من القمار كانوا يستعملونه في اقتسام لحوم الذبائح بحسب اقداح يضربونها وكان لكل قدح نصيب معلوم . وهى احدي عشر قدحا سبعة تربح ان فازت وعليها الغرم ان خابت وأربعة تعقل بها القداح

وهي لاترع ولاتخسر . فالسبعة ذات القيمة هي . الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل ثم المعلي وهو اوفرها حظا ولذا ضرب به المثل فقيل (القدح المعلي)

(٤) الازلام . وهي ضرب من الطيرة وهو أنهم كانوا اذا أرادوا فعل أمر أو رغبوا فى معرفة ما له من النجاح والفشل أخذوا اقداحا مكتوبا على بعضها — افعل وعلي بعضها — لاتفعل — وعلى البعض نعم أولا — وغيرها من الفاظ التفاؤل المتباينة المعني فاذا اراد أحدهم سفرا مثلا أتى سادن الاوثان فيضرب له بتلك القداح ويقول (اللهم أيها كان خيرا له فاخرجه) فما خرج له وجب عليه العمل به . وكان اذا اختلف رجلان من العرب على حق اختار كل منهما قدحا باسم خاص فمن خرج قدحه فهو صاحب الحق.

والميسر واقتسام الانصبة بالقداح والازلام ورد فى القرآن نص صريح ببطلانها وذلك في قوله تعالي (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)

(٥) البحيرة . وهي ان الناقة اذا انتجت خمسة ابطن عمدوا الي الخامس بشرط أن يكون انثي فشقوا أذنها وتركوها فلا يحمل عليها شيء ولا يجز وبرها وتكون البانها للرجال دون النساء فان ذبحت لايذكر عليها اسم الله

(٦) السائبة . وهى ترك الرجل بهيمة أو عبدا مثلا فيكون الانتفاع بذلك وقفا علي جميع الرجال دون النساء

(٧) الوصيلة . وهى ان الشاة اذا ولدت سبعة ابطن أخذوا السابع فان كان ذكرا ذبح وأن كانت انثى تركت وان كانت البطن السابعة توأمين

ذكراً وانثي يقولون حينئذ (وصلت أخاها) واصبح ذبحها حراما ولبن الانثي للرجال دون النساء

(٨) الحام . وهو اذا صار للجمل عشرة ابطن من اولاده قالوا (حمى ظهره) فيترك ولا ينتفع به في شيء ولا يمنع ماء ولا مرعى

والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام ورد النص القرآني بابطالها في قوله تعالي (ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولا وصيلة ولا حام)

(٩) اغلاق الظهر . كان الرجل اذا تكامل عدد ابله مائة عمد الى البعير المكمل للمائة فينزع شيئا من فقراته ويعقر سنامه حتي لا يركب ويسمى ذلك باغلاق الظهر ومن رأى البعير علي هذه الصورة علم ان ابل صاحبه قد بلغت المائة

(١٠) التفقئة والتعمية . كان الرجل اذا بلغت ابله الفا فقأ عين الفحل . وان زادت عليها اعماه بفقء العين الاخرى وفي زعمهم ان ذلك يدفع العين عن الابل

(١١) رمي البعرة . اذا مات زوج المرأة دخلت مخدعها وخلعت ثيابها ولبست ثيابا خلقة ولا تتطيب حتي يحول على موت زوجها حولا كاملا . ثم يؤتى لها بدابة فتتمسح بها . وكل حيوان تمسح به لا بد أن يموت (١) ثم تعطي بعرة بعد ذلك فترميها . ثم هي بعدئذ في حل من أمرها تلمس ماتشاء وتستعمل ما تريد من طيب أو سواه — وقد ورد في القرآن نص ببطلان ذلك بقوله تعالي « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة أشهر وعشرا » وهذا تحديد لمن مات عنها زوجها وهو النظام الذي

---

(١) وهذا مما يستوجب الدهشة وهو من الادلة على أن المصريين وحدهم لم يكونوا أهل الخرافات وانما من العرب حوادثهم أكبر دهشة وغرابة

اتبع فى الاسلام

(١٢) وأد البنات . وهي عادة لم يكن أدل منها على مقدار غيرة العرب وخوفهم من العار وأن كان بعضهم يقصد بالوأد ملافاة الفقر — وكان أول من سن هذه السنة قيس بن عاصم المنقرى وقد كان من أعيان قومه وذوى المكانة فيهم . وسبب ذلك ان النعمان بن المنذر عزا قوم قيس وسبي نساءهم وأولادهم فلما انتهت الحرب وطلب أهل السبايا بناتهم قال النعمان كل امرأة اختارت أباها ردت اليه وكل من اختارت صاحبها تركت معه . فكلهن اخترن آباءهم الا ابنة قيس فانها اختارت صاحبها عمرو بن الجموح فنذر قيس بن عاصم أنه لا يولد له ابنة الا قتلها مدفوعا بحمية الغيرة على شرفه وعرضه ومن ثم صارت عند القوم عادة من عاداتهم العامة . ولكن القرآن أبطل تلك العادة سواء كان الدافع اليها العار أو الفقر بقوله تعالى (واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) وقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا)

(١٣) حبس البلايا . اذا مات الرجل يشدون ناقته الي قبره و يوثقون رأسها الى حلقها وهي مغطاة برذعتها فاذا استطاعت التخلص من عقالها لم تمنع ماء ولا مرعى . وكان يزعم العرب أن الناقة بهذا العمل تحشر مع صاحبها البعث ليركبها

(١٤) الاخذ بالثار اذا قتل رجل حرم علي نساء قومه أن يبكينه حتي يؤخذ بثاره

(١٥) [illegible] يزعمون أن الحرية [illegible] الارتياب

[illegible] لشعرائهم

و[illegible] ولا [illegible] أرس

(١٦) [illegible] حيض السمرة . كانوا يتعدون

أن [illegible] كل

[illegible]

[illegible] حيض السمرة

([illegible])

[illegible]

[illegible] كانوا [illegible] أن لا [illegible]

اذا أعيى [illegible] ([illegible]) [illegible] الاحرب

[illegible]

وكان [illegible] كندى الامريكون غيره [illegible]

(١٩) [illegible] . المرأة المقلات (١) اذا وطئت

قتيلا [illegible] أولادها . قال بشر بن أبي خازم في ذلك .

يظل مقلات النساء يطأنه   يقلن ألا يلقى على المرء مئزر

(٢٠) مسح [illegible] سبع مرات ليسكن [illegible]

(٢١) [illegible] . وهو في عرف من يعتقدون قدرته على الكلام واتيان

---

(١) المرأة المقلات وهي التي لا يعيش لها ولد

ما يأتي به الشعر من الافعال . وهو بهذا الوصف يرى ... أسماء ... من الرب ... من ... وقد أدس أحد ... شعراء الجاهلية وعرسانها أنه رأى الغزال ... اعترضه ... حادث ... له ... قول ...

أن ... ...

أني ... ... كأ ...

و ... لما كلابا ... أرس ... أحمر ... ...

... ت ... أ ... ...

... ...

(٢٢) ... كانوا يزعمون أن ... ... من رأسه طائر ... فيصيح ... حتى ... قال ...

يا عمرو الا ... شتمي ومنقصتي ... اضربك حتى تقول ... اسقوني

(٢٣) ذهاب حصر الرجل كانوا يزعمون أن الرجل اذا احصر ... وذكر أحب الناس اليه ذهب عنه الحصر

(٢٤) رمي سن الصبي . كانوا يزعمون أن الصبي اذا اثغر ... سنه في عين الشمس وقال (أبدليني بها أحسن منها) لا يصيب أسنانه ... ولا ... . قال طرفة بن العبد .

بدلته الشمس من منبته بردا أبيض مصقول الاشر

(٢٥) عرق الفرس المهقوع (١) كانوا يزعمون أن الرجل اذا ركب فرسا مهقوعا وعرق تحته يعلم أن حليلته قد اغتلمت (٢) . قال الشاعر .

اذا أعرق المهقوع بالمرء انعظت حليلته وازداد طير عجانها

(٢٦) جز ناصية الاسرى . اذا أرادوا اطلاق أسيرهم يجزون ناصيته قالت الخنساء .

جزوا نواصي فرسانهم وكانوا يظنون أن لاتجزا

* * *

هذه بعض عادات العرب في الجاهلية ومع أن قانون الاسلام وحضارته قضت عليها لعدم التوفيق بينها وبين العقول المستنيرة وتنور الاسلام . الا أننا مع الاسف والعجب لانزال نرى أغلب تلك العادات شائعاً في كثير من الشعوب الاسلامية وخصوصا فى مصر حيث لاتزال العامة يعتقدون بصحتها ويؤمنون بها كما كان يؤمن عرب الجاهلية قبل ثلاثة عشر قرنا

---

(١) الفرس المهقوع هو الذي تكون حول عنقه دائره يقال لها الهقعة

(٢) اغتلمت ، طلبت الرجال

الديانة

كانت شريعة ابراهيم قد شاعت بين العرب فاعتنقها كثير منهم كالقحطانيين والعدنانيين وكانت أحكام تلك الشريعة هى المعمول بها . ولكن لطول العهد عليها تناساها أغلب قبائل العرب وضلوا عن الحقيقة المقدسة . فاختلفوا فى اتخاذ الآلهة فعبد بعضهم الكواكب والبعض عبد الليل والنهار لاعتقادهم أن الاول اله الشر والثانى اله الخير وسمى هؤلاء « الثنويون » . ومنهم من انكروا وجود الله على أى نوع وانكروا البعث والحساب وهم « الدهريون » .

وكانت اليهوديه قد ظهرت واعقبتها المسيحية فاعتنقها بعض القبائل وعملت بأحكامها وكانت الوثنية قد شاعت فى قريش وكثرت عبادة الاصنام وذلك لما دخل عمرو بن لحى مكة كان أول من أقام عليها الاصنام وشايعته اغلب العرب حتي عظم شأن الوثنية واستقلت كل قبيلة بصنم خاص لها - وكان أشهر هذه الاصنام (اللات) و(العزى) و(نسر) و(مناة) و(يغوث) و (يعوق) و (هبل)

« لقد أدى تعدد العقائد الدينيه الى خلق فتن ومنازعات بين القبائل وخصوصا عند اصطدام المسيحية باليهودية وتنافر انصار الديانتين وتنابذهم فمن ذلك أن (ذا نواس) أحد ملوك الحمير بن باليمن تشيع لليهودية وناصرها فلما عصى بنو (نجران) امره واعتنقوا المسيحية اضطهدهم وعذبهم وعمل لهم اخدودا من نار القاهم فيها أحياء حتي أفناهم ولم ينج منهم الا رجل،

يقال له ([illegible]) فر الى النجاشي ملك الحبشة وكان مسيحيا فطلب منه إعانته على ذي نواس . فأرسل النجاشي جيشا بقيادة (أرباط) الى اليمن فانهزم ذو نواس وهلك غريقا في البحر واستولى ارباط على البلاد ثم حكمها بعده أحد قواد جيشه (ابرهة) كان ماكرا شاطرا طائشا . فقد حكى انه بعد [illegible] ملك اليمن [illegible] ذي يزن من أشراف اليمن فاغتصب منه [illegible] فولدت له « مسروق » وكانت [illegible] » . فلم يتحمل ذو يزن الآلام [illegible] من اليمن ولجأ الى كسرى ملك الفرس مستنجدا فلم يجده . [illegible] ولما سيف في حجر ابرهة معتقدا انه أبوه ولكن [illegible] أخوات سيف من امه [illegible] أباه [illegible] الامر [illegible] حتى مات ابرهة وآل [illegible] الى ابنه [illegible] لكسرى [illegible] في الطريق عند خروجه من ديوانه [illegible] « [illegible] ميراث » فسأله كسرى « من أنت وما ميراثك » [illegible] « أنا ابن الشيخ اليماني الذي وعدته النصرة فمات ببابك فتلك [illegible] » ولم يزل به حتى أمده بجيش حارب به الحبشيين حتى [illegible] عن البلاد وعاد اليه ملك اليمن .

الحروب والغارات

كانت جزيرة العرب في ثوران دائم وغارات لا تنقطع حتى انهكت الحروب قوى القبائل فعطلتهم عن مجاراة بعض الشعوب التي أخذت شوطا بعيدا في طريق العمران والحضارة كالمصريين والرومان واليونان . والحق أن تلك الخسارة التي خسرها العرب بسبب انصرافهم الى المغارات قد استعاضوا عنها بمميزات ومكارم قل أن تناشيهم فيها أمة من الأمم المعاصرة .

فقد سمت شاعريتهم سموا كنت ترى منه جزيرة العرب مدرسة جامعة للشعر والآداب . كما أكسبتهم طبيعة البلاد ونظم حياتهم البدوية عادات وطباع اعتبروها من مستلزمات قوميتهم كالكرم المفرط . ونجدة المستجير وحماية الجار . وحب الانتقام . كل تلك المحامد وغيرها [illegible] حروب في الجاهلية شأنه نظم اجتماعية يترتب على الخروج على أحكامها خزي وعار يلتصق بصاحبه طول حياته

وأعظم الحروب شأنا في تاريخ العرب والتي كان لها تأثير مباشر في حياتهم القومية والادبية هي حرب ذي قار وحرب البسوس وسنأتي على ذكر كل منهما في الموضع المناسب

الوحدة السياسية

هناك نتيجة ذات شأن خطير في تاريخ العرب . تلك نتيجة الثورات والحروب وضعف القوى ثم غارة الحبشة على بلاد اليمن اعتماد على هذا الاضمحلال والخور . ولو علمت كيف أن النير الاجنبي هو جذوة وطنية تلتهب نارها عند اشتداد ظلم الاجنبي لادركت ما آلت اليه الروح الوطنيه في جزيرة العرب يوم وقعت في يد (أبرهه) الحبشي وما كان العرب يومئذ ليحتملوا حكم الاجنبي وهم ممتازون بالآباء والانفة

استيقظ سيف بن ذي يزن من رقدة الطفولة واستقبل صحوة شبابه ولكنه وجد العرب تحت نير الحبشة وهذا أمر يتنافى مع ما كان يسمع به في طفولته من شمم العرب وأبائهم فكان لا بد له من ان يتحرك أمام الشعور بالغيرة الوطنية وخصوصا لما علمه من اغتصاب أبرهة لوالدته كما أسلفنا واتخاذها زوجة له فقام قومته وصاح في وجه الحبشة صيحته فكانت حركة وطنية وكانت زعامة قوية تولاها سيف بن ذي يزن زعيما فتيا عرف كيف يعمل في سبيل قضية العرب بعقل وتدبر فلم يفته أن الحروب الكثيرة الماضية ثم تحكم الاجنبي قد أنهك قوى العرب المادية . فليس من الحكمة أن يزج بقومه في حروب قد لا تحسن عواقبها ولهذا رأى خير وسيلة يلتجيء اليها أن يستعين بدولة قويه من الدول المتاخمة لجزيرة العرب فذهب الى دولة الرومان فخيبت رجاءه وثبت بعد ذلك أن احتلال الحبش لليمن كان بتشجيع حكومة الرومان .

فحول سيف بن ذي يزن وجهته الى ملك الفرس فأجابه الي سؤله وأحسن كسرى وفادته وبعث معه جيشاً عظيما حارب به الحبشة فهزمها وطهر بلاد العرب منها وبذلك عادت للعرب حريتهم ونصب الزعيم سيف بن ذى يزن ملكا عليهم

والى هنا لا نستطيع أن نقول أن العرب قد توحدت قواهم تماماً فان الدور الذى لعبه سيف بن ذي يزن مع الحبش وابعاده البلاد منهم لم يصل بالعرب الي النتيجة المطلوبة بتمامها وانما تمكن العرب من استرجاع بعض قواهم المفقودة .. وكان النزاع بين القبائل لا تزال آثاره باقية . وانما حدث حادث جديد يصح اعتباره أساس الوحدة السياسية التي جمعت العرب وأشعرتهم بأنهم أمام دول أجنبية ليس فى استطاعتهم مقاومتها الا بقوة واحدة لا تتوفر لديهم الا بالاتحاد التام . . . . ، وذلك أن الفرس بعد وفاة سيف بن ذى يزن طمعت فى ملك العرب فبسطت سيادتها عليهم تنفيذاً للمبدأ المعروف من قديم وهو (السيادة للقوة) وتجاوز الفرس حد الاعتدال في معاملة العرب فقتلوا ملكهم (النعمان) وهو الامر الذى زلزل قواعد السلام فى البلاد وأهاج العرب ودعاهم الي الثورة متحدين متكاتفين . فقاموا علي هذا النظام الجائر بالقوة فى وجه الفرس وحدثت بينهم حرب طاحنة لم يسمع بها الفرس من قبل لانها كانت أول حرب انهزموا فيها أمام العرب وولوا من طريقهم مدبرين وهذه هي الواقعة المشهورة المعروفة باسم (حرب ذى قار)

وكان هذا النصر العظيم الذى ناله العرب سببا فى تذوقهم لذة الاتحـاد
والتحقق من مزاياه ولذا بدأوا يظهرون أمام الدول المجاورة فى مظهر
دولة قوية ذات وحدة سـياسية وان لم يتم دعائم هـذا الاتحاد الا فى
عهد النبى صلى الله عليه وسلم كما سيأتى

الشعر الجاهلي

سنكتب عن الشعر في الجاهلية ولكنا في عصر ظهرت فيه أفكار جديدة يرمي أصحابها الى انكار هذا الشعر الجاهلي وسواء كان دعاة هذا الرأي يدعون الى مايرون عن أنه نشأ من بحث واستقراء أو أنهم مدفوعون بروح الثورة على العرب وآدابهم فما علينا الا أن نسلك في بحثنا مسلك الانصاف للعرب والخضوع للحقيقة والضمير. وبودنا أن نمر بهذا الموضوع مرورا لايشتم منه رائحة التحدي ولكنها روح الغيرة على الحق تدعونا للتحكك بفكرة انكار الشعر الجاهلي وانتحاله لاسيما سنأتي على ذكر كثير من أخبار شعراء الجاهلية وشعرهم

هذا الشعر الذي يقال بانتحاله رأيه تحول تلك أسماء شعراء الجاهلية قد لا تكون لاعلامها مسمى. وكيف يستطيع طالب الأدب أن يقتنع بهذا الرأي وهو يعلم أن العصر الذي قيل بانتحال هذا الشعر فيه عصر مشحون بكثير من الامور التي تحول دون هذا الانتحال فالعهد الاسلامي أما عهد حافل بالحروب والغزو والفتوح الى انسان ينتحل الشعر شعرا أو يشتغل هذا الغير وما ينسب اليه من شعر ثم اذا كان عهد سلام فالسلطان للأدب والادباء. وما نظن شاعرا بلغ به حب التضحية لمطمح ديوانا حافلا ببديع الشعر ثم يحمله تاجا مرصعا بلآلىء الادب ليتوج به رأس انسان كان له وجود في العصر الجاهلي أو لم يكن له هذا الوجود من قبل. ومن يكن

هذا الانسان الفدائي الذي يضحي بملكته الشعرية في سبيل عظمة انسان قديم بريء من قول هذا الشعر أو الوجود بريء من هذا الانسان ؟

وأظن في هذا الدفع كفاية لاقناع من قد تضطرب عقيدته في حقيقة الشعر الجاهلي بأنه لا انتحال فيه وأن أولئك الاشخاص الذين ينسب اليهم الشعر الجاهلي هم أصحاب هذا الشعر وهم ناظموه ولعلنا نوفق الى ادراك حجة الاقناع التي نريدها من خلال بحثنا في تاريخ شعراء الجاهلية وأشعارهم والظروف التي ظهر فيها هؤلاء الشعراء

نشأة الشعر الجاهلى

أول عصر ظهر فيه الشعر مستعملا في القصائد والمطولات هو عصر مهلهل التغلبى من بني وائل (فخذ من ربيعة) وهذا رأى بعض من كتب عن تاريخ الشعر العربى ولكننا نستنتج من حالة شعر مهلهل نفسه المعتبر رأس الشعراء النظاميين أن روح الحماس وحسن الاسلوب والصياغة فى شعره دليل على أنه كان يسير فى طريق مسلوك من قبل وإلا لكان شعره غير مانراه وليدا ناشئا .

ولا يبعد أن يكون هناك شعراء فطاحل نظموا الشعر وقصدوه وكان له عندهم من المكانة والاهتمام ما كان له عند المعروف لنا من الشعراء غير أن ظلمة ذلك العصر الذي ظهروا فيه حالت دون وصول شيء من أخبارهم وأشعارهم الي الرواة ويذكر لنا أصحاب الرواية فى الشعر أسماء بعض الشعراء السابقين لمهلهل التغلبى ويؤكد هؤلاء الرواة أن أولئك الشعراء قالوا الشعر ونبغوا فيه غير أن شعرهم كان أقرب الي المقطوع منه الي المطولات فمن هؤلاء الشعراء العنبر بن عمرو بن تميم وأعصر ابن سعد بن قيس عيلان والافوه الاودى وابن حزام .

ويشهد امرؤ القيس أن هناك شعراً قبل شعر حاله مهلهل فيه من المعانى والخيال مافى شعر المتقدمين فى قوله .

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن خزام

اعتراف صريح بأن ابن حدام الشاعر الجاهلي القديم الذي ظهر قبل مهلهل التغلبي هلل الشعر وبكي الديار كما بكاها امرؤ القيس ثم اليك قول عنترة العبسي – في مطلع معلقته

هل غادر الشعراء من متردم   أم هل عرفت الدار بعد توهم

فهو يرى أن الشعراء الاقدمين لم يتركوا نقصا في الشعر يحتاج الى اصلاح

ثم قول زهير بن أبي سلمى

ما أرانا نقول الا معارا   أو معادا من لفظنا مكرورا

ففيه اعتراف بان ما يقوله الشعراء لم يكن الا اعادة وتكرارا لما قاله شعراء سابقون . ولا نظن أديبا أو طالبا في الادب يعتبر قول عنترة وزهير عائدا على من سمعوهما من شعراء الجاهلية القريبي العهد منهم مثل مهلهل وطرفة ذلك لأن كلام عنترة وزهير يتكلم بلسانه وبلسان أهل جاهليته من الشعراء فهما انما يقصدان من سبق مهلهل من شعراء الجاهلية الاولى

مهلهل وحرب البسوس

ولما كان مهلهل(١)هو أول من وصل إلينا حره من نظموا الشعر المطاول لا سيما وأن شعره كان صورة للعصر الذي وجد فيه وهو عصر دموي ثوري نرى أن مقتل كليب التغلبي ثم الحزن العميق الذي تملك عاطفة أخيه مهلهل ومشاعره ثم العصبية الفردية التي تأثرت بها نفوس بني تغلب . كل ذلك كان شعر مهلهل التغلبي مرآة له . فقد كان شعر المراثي . شعر الانتقام . شعر الثورة !! والعصبية الجاهلية بتمام معناها تصورها لنا حرب البسوس . فإن قتل جساس بن مرة البكري لكليب التغلبي حدث نتيجة انتقام لناقة قتلها كليب لسعد الجرمي وكان جارا لابن عوس خالة جساس كما هو مشهور . فتلك الحادثة الضئيلة ونقصد بها قتل الناقة تودي بحياة رجل من أشراف العرب ثم تشتعل نار تلك الحادثة فتعم قبيلتين تتصلان بصلة القرابة والمصاهرة دليل على أن العصبية لا تقف الروابط الأخرى في سبيل اخماد نائرتها فقتل كليب حي على بني بكر وبني تغلب حربا قيل مكثت أربعين عاما

وكانت تلك الحرب الحامية الوطيس ذات أثر عظيم في أثار عاطفة مهلهل واستظهار تلك العاطفة في شعره وتحت تأثير دم كليب وحرارة الانتقام ظهر مهلهل شاعرا ثائر النفس تلمس ذلك في مراثيه لأخيه التي منها

بت ليلى بالأنعمين طويلا ... أرقب النجم ساهيا أن يزولا
كيف أهدأ ولا يزال قتيل ... من بني وائل ينسى قتيلا
غنيت دارنا تهامة في الدهـ ... ـر وفيها بنو معد حلولا

---

(١) وهو الزير سالم وأطلق عليه زير النساء لكثرة مجالسته لهن

فتساقوا كأساً أمرت عليهم | بينهم يقتل العزيز الذليلا
فصبحنا بني لجيم بضرب | يترك الهام وقعه مفلولا
لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا | وأخو الحرب من أطاق النزولا
انتضوا معجس القسي وابرقنا | كما توعد الفحول الفحولا
قتلوا ربهم كليباً سفاها | ثم قالوا ما أن نخاف عويلا
كذبوا والحرام والحل حتى | يسلب الخدر بيضه المحجولا
ويموت الجنين في عاطف الرحم | وتردي رماحنا والخيولا

فلو لم تكن في شعر مهلهل تلك القوة لكان له الفخر حقا في اعتباره رأس الشعراء زمنا ولكن متانة شعره حرمت عليه أن يكون مخترع الشعر الجاهلي وأن يكون أول ناظميه

ولقد تتجلى لك ملكته الشعرية وتحس من نفسك بعاطفة الاكبار من تلك القوة في مهلهل حين تقرأ قصيدته الثانية التي رثى بها كليبا والتي يقول فيها

أهاج قذاة عيني الادكار | هدوءا فالدموع لها انهمار
وصار الليل مشتملا علينا | كأن الليل ليس له نهار
وبت أراقب الجوزاء حتى | تقارب من أوائلها انحدار
أصرف مقلتي في أثر قوم | تباينت البلاد بهم فغاروا
دعوتك يا كليب فلم تجبني | وكيف يجيبني البلد القفار
أجبني يا كليب خلاك ذم | لقد فجعت بفارسها نزار
سقاك الغيث انك كنت غيثا | ويسرا حين يلتمس اليسار

أبت عيناي بعدك أن تكفا كأن قذى القتاد لها شفار
كأني اذ نعى الناعي كليبا تطاير بين جنبي الشرار
سألت الحي أين دفنتموه فقالوا لي بأقصى الحي دار
فسرت اليه من بلدي حثيثا وطار النوم وامتنع القرار
أتغدوا يا كليب معي اذا ما جبان القوم أنجاه الفرار
أخذ العهد الأكيد على عمري بتركي كل ما حوت الديار
ولست بخالع درعي وسيفي الى أن يخلع الليل النهار

ويعكر علينا حق الاقتناع تلك الشكوك التي يثيرها جماعة ممن يتصدرون لانكار كثير من شعر مهلهل وهؤلاء الجماعة لا يرون ما يستندون عليه في طعنهم أكثر من أن شعر المهلهل المنسوب اليه له من جمال الاسلوب ورقة المعاني وسهولة الفهم ما لا يتفق مع بداوة العصر التغلبي وطفولته مما يدل على انتحال هذا الشعر ونسبته الى مهلهل زورا ونحن نرمي أصحاب ذلك الرأي بجهل وغباء لانهم يحكمون حكما على شعر مهلهل لا على نفسيته والعوامل التي أحدثت في شعره ذلك التطور الذي نحن من المؤمنين به وبصحته

ولقد مررنا على بعض أيام مهلهل مرورا فيه كل الايجاز ولا نرى على أنفسنا من حرج لو عدنا فعرضنا شيئا من شعر مهلهل الذي قاله في أغراض مختلفة

فمن ذلك قوله من مراثي كليب وذكر مقتل الحرث بن عباد

أليلتنا بذي حسم أنيري اذا أنت انقضيت فلا تحوري (١)
فان يك بالذنائب طال ليلي فقد أبكي من الليل القصير (٢)

---

(١) ذو حسم [illegible] (٢) الذنائب المكان الذي قتل فيه كليب

كأن الله قد من يدا بعض ... أبغ على أفاضته قمير (١)
ولو نبش المقابر عن كليب ... لأخبر بالذنائب أي زير (٢)
ويوم الشعثمين لقر عينا ... وكيف لقاء من تحت القبور
على أني تركت بواردات ... بجيراً في دم مثل العبير (٣)
هتكت به بيوت بني عباد ... وبعض القتل أشفى للصدور
وهمام ابن مرة قد تركنا ... عليه القشعمان من النسور (٤)
على أن ليس عدلا من كليب ... اذا طرد اليتيم عن الجزور
على أن ليس عدلا من كليب ... اذا ما ضيم جار المستجير
على أن ليس عدلا من كليب ... اذا هبت رياح الزمهرير
على أن ليس عدلا من كليب ... اذا برزت مخبأة الخدور

* * *

تسائلني أميمة عن أبيها ... وما تدري أميمة عن ضمير
فلا وأبي أميمة ما أبوها ... من النعم المؤثل والجزور (٥)

---

(١) [illegible] المقياس (٢) اشارة الى لقب الزير الذي لقبه به كليب أخاه مهلهل [illegible] ميله الى محادثة النساء. فلو نبش قبر كليب لرأى كيف انتصر لموته من أعدائه (٣) واردات يوم من الأيام التي انتصر فيها [illegible] بني بكر، وبجير هو ابن الحارث بن عباد (٤) همام هو أخو جساس [illegible] القشعمان الكبير من النسور (٥) النعم الابل، والمؤثل [illegible] الكثير أى أن كليبا لم يكن كالابل التي [illegible]

ولكنا طعنا القوم طعنا على الأثباج منهم والنحور(٦)
نكب القوم للأذقان صرعى وتأخذ بالترائب والصدور(٧)
وكانوا قومنا فبغوا علينا فقد لاقاهم لفح السعير(٨)

ومن قوله

ان تحت الأحجار حزما وعزما وقتيلا من الأراقم كهلا(٩)
قتلته ذهل بمست براض أو نبيد الحيين فيها وذهلا
ويطير الحريق منا شرارا فيناله بالشرار تكرا وعجلا
قد قتلنا به ولا ثأر فيه أو تعم السيوف شيبان قتلا
ذهب الصلح أو تردوا كليبا أو تحلوا على الحكومة حلا
ذهب الصلح أو تردوا كليبا أو تنال العداة هونا وذلا
ان تحت الحجارة والترب منه لدفينا علا علاء وحلا
عز والله يا كليب علينا ان ترى هامتي دهانا وكلا

ومن قوله

ياخليلي ناديا لي كليبا واعلما انه ملاق كفاحا
ياخليلي ناديا لي كليبا ثم قولا له نعمت صباحا

---

(٦) الاثباج جمع ثبج وهو ما بين الكاهل والظهر (٧) الترائب جمع تريبة وهي ما بعد الترقوتين من عظام الصدر (٨) أي أن بني بكر كانوا أولاد عم بني تغلب فاعتدوا عليهم بقتل كليب (٩) الاراقم هم بنو بكر وبنو تغلب .

تترك الدار ضيفنا وتولي — عذر الله ضيفنا يوم راحا
ذهب الدهر بالسماحة منا — يا أذى الدهر كيف ترضى الجماحا
ويح أمي وويحها لقتيل — من بني تغلب وويحا وواحا
يا قتيلا نماه فرع كريم — فقده قد أشاب مني المساحا
كيف أسلو عن البكاء وقوم — قد تفانوا ؟ وكيف أرجو الفلاحا ؟

ومن قصائده الحارة في هذا المعنى .

جارت بنو بكر ولم يعدلوا — والمرء قد يعرف قصد الطريق
حلت ركاب البغي في وائل — في رهط جساس ثقال الوسوق (١)
يا أيها الجاني على قومه — جناية ليس لها بالمطيق
جناية لم يدر ما كنهها — جان ولم يصبح لها بالخليق
كقاذف يوما بأجرامه — في هوة ليس لها من طريق
إن ركوب البحر ما لم يكن — ذا مصدر من مهلكات الغرق
ليس امرؤ لم يعد في بغيه — عداية كحريق ريح خريق
لكن تعدي بغيه قومه — طار إلى رب اللواء الخفوق
إلى رئيس الناس والمرتجى — لعقدة الشد ورتق الفتوق
إن نحن لم نثأر به فاشحذوا — شفاركم منا لحز الحلوق
أصبح ما بين بني وائل — منقطع الحبل بعيد الصديق
ليس أخوكم تاركا وتره — وليس عن تطلابكم بالمفيق

---

(١) الوسوق : الحمل (٢) الخريق : هو الشديد الهبوب

ومن قوله أيضا

نبئت أن النار بعدك أوقدت ... واستب بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا في أمر كل عظيمة ... لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا
واذا تشاء رأيت وجها واضحا ... وذراع باكية عليها برنس
تبكي عليك ولست لائم حرة ... تأسى عليك بعبرة وتنفس

وقال يتهدد بني شيبان

لما نعى الناعي كليبا أظلمت ... شمس النهار فما تريد طلوعا
قتلوا كليبا ثم قالوا « ارتعوا » ... كذبوا فقد منع الجياد رتوعا
كلا وانصاب لنا عادية ... معبودة قد قطعت تقطيعا(١)
حتى أبيد قبيلة وقبيلة ... وقبيلة وقبيلتين جميعا
وتذوق حتفا آل بكر كلها ... ونهد منها سمكها المرفوعا
وترى سباع الطير تنقر أعينا ... وتجر أعضاء لهم وضلوعا
والخيل تقتحم الغبار عوابسا ... يوم الكريهة ما يردن رجوعا

قيل أن أول شعر قاله مهلهل عند ما بلغه مقتل كليب وقد رجع الى قومه فاستقبله النساء وهن يبكين ويولولن

كنا نغار على العواتق أن ترى ... بالأمس خارجة عن الأوطان
فخرجن حين ثوى كليب حسرا ... مستيقنات بعده بهوان

---

(١) الانصاب . حجارة كانت تقيمها العرب في الجاهلية فيهل عليها غير الله وقت نحو الذبائح

حقر الكواعب كالظباء عواطلا — اذ حان مصرعه ن الاكفان
تخمش من أدم الوجوه حواسرا — من بعده ويعدن بالازان
ويقال من للمستصرخ اذا دعا — أم من لخضب عوالي المران
أم من لأسباق الديات وجمعها — ولفادحات نوائب الحدثان
علا تركي به قبائل تغلب — قتلى بكل قرارة ومكان

ومن مراثيه أيضاً

كليب لاخير في الدنيا ومن فيها — ان أنت خليتها فيمن يخليها
كليب أى فتى عز ومكرمة — تحت الصفا دالتي بملوك سافيها (١)
نعى الناعي كليبا فقلت لهم — مالت بنا الارض أو زالت رواسيها
ليت السماء على من تحتها وقعت — وحالت الارض فانجابت من فيها (٢)
أضحت منازل بالسلان قد درست — تبكي كليبا ولم فزع أقاصيها
الحزم والعزم كانا من طبائعه — ما كل آلائه يقوم أحصيها
القاتل الخيل تردي بن أعنتها — والواهب المائة الحمر ابرا ديها
من خيل تغلب ما تلقى أسنتها — الا وقد خضبتها من أعاديها
قد أصبحت وقد أوحشت جرد ببلقعة — للوحش منها مقيل في مراعيها
ينفرن عن أم هامات الرجال بها — والحرب يفترس الاقران حاليها

---

(١) الصفاة . الحجر الصلد ومفاة القبر (٢) حالت الارض . تغير حالها

ترمي الرماح بأيدينا فنوردها بيضا ونصدرها حمرا أعاليها
يارب يوم يكون الناس في رهج بها تراني على نفسي كما بيها
مستقدما غصصا للحرب مقتحما نارا أهيجها حيناو اطفيها
لا أصلح الله منا من يصالحكم حتى يصالح ذئب المعز راعيها

كان مهلهل قد حضر وقعة السلان مع أخيه كليب قبل قتله فهزما الاعداء فانشد مهلهل قصيدته التي يقول فيها .

لو كان ناه لابن حية زاجرا لنهاه ذا عن وقعة السلان
يوم لنا كانت رئاسة أهله دون القبائل من بني عدنان
غضبت معدن عنها وحكيمنها فيه ممالاة على غسان
فاز بهم عنا كليب بطعنة في ثغر بابل من بني قحطان
ولقد مضي عنها ابن حية مدبرا تحت العجاجة والحتوف دوان
ترك التي سحبت عليها ذيولها تحت العجاج بذلة وهوان
ونجا بمهجته وأسلم قومه متسربلين رواسف المران
يمشون في حلق الحديد كأنهم جرب الجمال طلين بالقطران
نعم الفوارس لافوارس مذحج يوم الهياج ولا بنو همدان
هزموا العداة بكل أسمر مارن ومهند مثل الغدير يماني

* * *

كيف مات مهلهل

اختلف الرواة في كيفية موت مهلهل ولكن أقرب الروايات التي

الحقيقة ما قيل من أنه بعد ما هدمت الحرب قوى التغلبيين والبكريين ، دخل على مهلهل يوما ربيعة بن الطفيل التغلبي فلما رأى ما به من تراكم الاوساخ الناشئ من عدم الاغتسال طوال سني الحرب قال .

— « أقسمت عليك أيها الرجل ، لتغتسلن بالماء البارد ، ولتبلن ذرائك بالعيب »

فقال مهلهل « هيهات ! هيهات يا ابن الطفيل ! هبلتني اذاً يميني ؟ وكيف باليمين التي آليت ؟ كلا أو أقضي من بكر أربي »

ثم زفر زفرة محزونة مهموم وأنشد .

ان في الصدر من كليب شجونا   هاجسات نكأن منه الجراحا

(القصيدة ص)

وعلم بقوله بنو بكر فرد عليه قائدهم الفند من قصيدة

وتركنا ديار تغلب قفرا   وكسرنا من الغواة الجناحا

وترى الزير يمنح القول بينا   بعد ما صار مفردا مستباحا

فلما علم بنو تغلب بقول الفند وكانوا فى صلح مؤقت مع بنى بكر ثارت نفوسهم من جديد ونقضوا الصلح فثار المهلهل على بني بكر فقيل انه فى أثناء الحرب وقع أسيرا فى يد عمرو بن مالك بن ضبيعة وبقى فى أسره زمنا طويلا ثم سقاه يوما خمرا ـ كان قد ترك شربها منذ قتل كليب ـ فأنشد وهو تحت تأثير الشراب قصيدته التي يقول فيها ذاكرا ابنته الصغيرة

طفلة شفة المخاخل بيضا   ء لعوب لذيذة فى العناق

فاذهبي ما اليك غير بعيد   لا يؤاتي العناق من فى الوثاق

ضربت نحرها الي وقالت ... يا عديا لقد وقتك الاواقي
ما أرجي في العيش بعد نداما ... ى أراهم شقوا بكأس ملاق
بعد عمرو وعامر وحيي ... وربيع الصدوف وابني عناق
وأمرئ القيس ميت يوم أودى ... ثم خلي على ذات الراق
وكليب شم الفوارس اذ حم ... رماه الكماة بالاعماق
ان تحت الاحجار حدا وعزما ... وخصيما ألد ذا مغلاق
حية في الوجار أربد لا تنـ ... ـفع منه السليم نفثة راق

قد ان عمرو بن مالك قد آلاه ما قاله المهلهل واقسم الا يذوق بعده خمرا ولا ماء ولا لبنا حتي مات عطشا .

وقد سمعنا رواية كثيرة التداول على السنة الناس عن موت مهلهل وكيف قتل ، وهي ان مهلهل الشاعر قضي مدة بالقرب من الاديار ثم مضى مع اهله يريد بلاد اليمن وبينما كان الركب يقطع الطريق خطر بباله ان يرجع بعد ابنتيه ابن مالك ابنته وكان معه عبدان اعتاد استصحابهما معه في حروبه وغزواته ، ولكنه لم يدرك لابن مالك أثراً حتي اذا تعب من السير حط رحاله عند شجرة يريد النوم تحت ظلها . وبينما هو في نومه اذ هجم عليه العبدان وقبضا على يديه يريدان قتله لما كرهاه من العرب شر حروبه فتنبه لهما مهلهل وقال « ماذا » ؟ «قالا . « نذيقك ما أذقت العرب »

فقال مهلهل « ان لم يكن بد من ذلك » فاذا اتيتما ابنتي فخصاهما عني بالسلام وقولا لهما .

من مبلغ بنتي ان مهلهلا ... لا دركا ودر ابيكما

ولما هم احد البدين بطعنه قال له مهلهل « ثكلتك امك لو أخذت البيضة عن رأسي لكفاك أخذها دون ان تضع يدك في سيدك »

فاقتلعا البيضة بقوتها فخرجت ام رأسه وبقى دماغه ينقض فقال احدهما « لله درك من قتيل وفى لاخيه حتي اجابه بعصره كريما ! » ثم دفناه وذلك في سنة ٥٠٠ ميلادية وعاد العبدان الى القوم بكيان ويولولان فلما سمعتهما سليمة ابنة المهلهل سألتهما عن المصاب فقالا لها « مات ابوك وتركناه عيلة علي القوم » فسألتهما عما اوصي به وقت موته . فقالا لها « لقد سمعناه وهو يجود بنفسه . يقول .

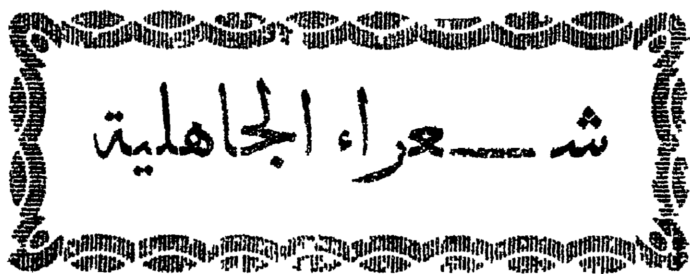
من مبلغ بني ان مهلهلا لله دركما ودر أبيكما

فاستعصي على سليمي دون معاصيهم ما يعني وأذاعته الصعيرة تصيح « واثكلاه قتيل ورب الكعبة ! أوثقوا العبدين . . هذان قتلا أبي ! يا معشر العرب ما انتم فصحاء » قالوا وما الدليل قالت « المصراع الثانى يحتاج الي اول والاول يحتاج الي ثان » قالوا اما ينبغي ان يكون ؟ — فقالت ما أراد الا ان يقول

من مبلغ بني ان مهلهلا اضحى قتيلا في الفلاة مجندلا
لله دركما ودر أبيكما ان يبرح العبدان حتي يقتلا

فعجلوا بالعبدين فقتلوهما

فشوع تلك الرواية دون سواها ثم قربها الى العقل لاسيما اشتهارها من الامثلة المتداوله بين العرب للدليل علي قوة الفراسة كل هذا يدعو الى احتمال التصديق بها


شعراء الجاهلية

الطبقة الاولى

امرؤ القيس — طرفة ابن العبد — الحرث بن حلزه — عمرو بن كلثوم — النابغة الذبياني — عنترة العبسى — أعشى قيس زهير بن أبي سلمى

امرؤ القيس

-١-

امرؤ القيس

(المتوفي سنة ٥٣٨ ميلادية)

وهو ابن حجر ملك كندة ممن لهم الاسبقية فى الشعر الفحل ذي المعنى الرائع وهو بلاشك رأس شعراء الجاهلية وان نسب البعض تلك الاولية للاعشى أو للنابغة

نشأ أمرؤ القيس كما ينشأ أمثاله من ابناء الملوك العظام فخورا بنفسه وقومه . وقد عرف الهوى في صغره وبذا كان له تأثير على ملكته الشعرية فنمت نموا ظهر في غزله وتشبيبه بالنساء . ولكن لم تكن سيرته هذه مرضية عند والده . فاقصاه عنه بعد ما يئس من اصلاحه . وانزوى مع جماعة من ندمائه (بدو) يلهون ويطربون . فبينما هو في احدى مساراته بلغه مقتل أبيه بايدى بني أسد عليه فقام وسط رفاقه مظهرا ثبات الجاش وسكون الخاطر قائلا (ضيعني صغيرا . وحملني دمه كبيرا . لا صحو اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا أمر) ثم قال

خليلي ما في اليوم صحو لشارب ولا في غد اذ ذاك ما كان يشرب

أذود القوافي عني زيادا زياد غلام جريء جوادا

فلما كثرن وعنينه تخير منهن ستا جيادا

فأعزل مرجانه جانبا وآخذ من درها المستجادا

والغرب في شعره ان تجتمع فيه صفات متعددة ان . فبينا ترى في قصيدة له جزالة العبارة وغريب الالفاظ وتضخم المعنى كما يقول في وصف فرسه من معلقته

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

أو كما يقول في وصف محبوبته

وإذ هي تمشي كمشي النزيف يصرعه بالكثيب البهر (٢)

برهرهة رودة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر (٣)

اذا به بعد ذلك شاعرا رقيق الالفاظ سهل العبارة سلس الاسلوب كما ترى في قوله

اجارتنا أنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

وقوله

كأن عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب (٤)

وقوله وهو من أبياته المشهورة

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

---

(٢) ... المرتفع من الارض والبهر هو شدة ال...

(٣) البرهرهة هي رقيقة الجلد والرودة الشابة والرخصة الناعمة . والخرعوبة الغصن

(٤) الجزع هو خرز أسود ... بياض

وكان اكثر شعر امريء القيس وهو فى حداثته غزليا الى ان حدث مقتل أبيه فظهر شعره بعد ذلك ممزوجا بالحزن وقد احاطت به المصائب وتوالت عليه ظروف دعت مناسباتها الي قوله معظم قصائده المشهورة وكان اكثرها فى رثاء ابيه وذم الدنيا وشكوى الزمان

شعره فى الغزل

الا عم صباحا ايها الطلل البالي وهل يعمن من كان فى العصر الخالي
وهل يعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت بأوجال
وهل يعمن من كان أقرب عهده ثلاثين شهرا فى ثلاثة احوال
ديار لسلمى عافيات بذى الخال ألح عليها كل اسحم هطال
سموت اليها بعد ما نام اهلها سمو حباب الماء حالا على حال
فأصبحت معشوقا واصبح بعلها عليه القتام كاسف الظن والبال
يغط غطيط البكر شد خناقه ليقتلني والمرء ليس بقتال

ومن قوله فى قصيدة أخرى

لعمري لقد باتت بحاجة ذى الهوى سعاد وراعت بالفراق مودعا
وقد غير الروضات حول مخطط الي اللحم مرأي من سعاد ومسمعا
متي تر دارا من سعاد تقف بها وتستجر عيناك الدموع تدمعا

وكان امرؤ القيس لما ادبرت عنه الدنيا ونزل على بنى طيء تزوج منهم ام جندب ومن قوله فيها .

خليلي مرا بي على أم جندب نقضي حاجات الفؤاد المعذب
ألم تر انى كلما جئت طارقا من الدهر تنفعني لدى أم جندب

دراسة شعراء الجاهلية[١]

في فترة قصيرة فكرت أن أدرس الشعراء الجاهليين دراسة محملة ، فاكتفيت بالوقوف عند المعلقات وقفات قصيرة وتبين ماينتابنا من شكوك عند دراسة كثرها ، لذلك أرجو ان تتاح لي الفرصة فى المستقبل بدرس أطول ، وفحص أدق ، جديرين ببحث جليل كهذا

« ١ »

امرؤ القيس وشكوك نسبه

صلة هذه الشكوك بشعره

روى ابن قتيبة (ان امرأ القيس هو بن حجر بن عمرو الكندي وأنه من أهل نجد من الطبقة الاولي ، وهذه الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد . وان لبيد بن ربيعه قال أن أشعر الناس ذو القروح

الى هنا ينتهي ما كتبه الاستاذ محمد يوسف دخيل كاتب مقدمة الكتاب، وتبدأ دراستنا الخاصة ، لذا فليغفر لنا القارىء تكرار الكتابة عن امرىء القيس لان الذى كتبه كاتب المقدمة عنه ليس كما تقتضيه أصول البحث الجديدة ، ونحن نريد أن نتحرر من قيود القديم ، لذلك لا نجد بدأ من الكتابة عنه من جديد .

محمود علي مراد

يعني امرأ القيس ، وأن حجراً ملك على بني أسد فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً ، فامتنعوا منه فسار اليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصي فسموا عبيد العصي ، واسر منهم طائفة فيهم عبيد بن الابرص فقام بين يدى الملك وقال

يا عين [illegible] ، فابكي بني * أسدهم أهل الندامة

اهل القباب الحمر والنعم المؤبل * [illegible]

[illegible] أبيت اللعن مهلا * ان فيما قلت آمه

في كل واد بين يثرب والقصور الى اليمامه

تطريب عان أوصياح محرق * [illegible] ورقاء هامه

أنت المليك عليهم * وهم العبيد الى القيامة

فرحمهم الملك وعفا عنهم وردهم الي بلادهم حتى اذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم عوف بن ربيعة الاسدي فقال يا عبادي !! قالوا لبيك ربنا !! فقال « من الملك الاصهب . الغلاب غير المغلاب . في الابل كأنها الربرب . لايعلق رأسه الصخب . هذا دمه يتثعب . وهو غداً أول من سلب » فقالوا من هو ربنا ! قال . « ولولا أن تجيش نفس جاشية أنبأتكم انه حجر ضاحية » — فركبت بنو أسد كل صعب وذلول فما أشرق لهم الضحى حتى انتهوا الى حجر فوجدوه نائماً فذبحوه ، وشدوا على هجائنه فاستاقوها ، وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع في الشعر بفاطمة ماصنع وكان لها عاشقا فطلبها زمانا فلم يصل اليها . وكان يطلب غرة حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان فقال . قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل فلما بلغ ذلك حجراً أباه دعا مولي له يقال له ربيعة فقال له اقتل امرأ القيس

واثنى بعينيه . فذبح جؤذراً وأتاه به بيه . فندم حجر على ذلك . فقال أبيت اللعن اني لم أقتله . قال فائتني به فانطلق ، فاذا هو قد قال شعراً في رأس جبل . وهو قوله .

ألا تركني ... لهذه * ... واثقا

ورده الي أبيه ونهاه عن قول الشعر ثم ... قال . * ألا عم صباحا أيها الطلل البالي ... فبلغ ذلك أباه فطرده ... وهو يدمون فقال .

تطاول الليل علينا دمون * دمون انا معشر يمانون

* وانا لاهلنا محبون *

ثم قال . ضيعني صغيرا . وحملني دمه كبيرا لاصحو اليوم ولا سكر غدا . اليوم خمر وغدا أمر . ثم قال .

خليلي مافي اليوم مصحى لشارب * ولا في غد اذ كان ما كان مشرب

ثم آلى لا يأكل لحماً ولا يشرب خمرا حتي يثأر لابيه. ولما كان الليل لاح له برق فقال .

أرقت لبرق بليل أهل * يضيء سناه باعلى الجبل

بقتل بني أسد ربهم * ألا كل شيء سواه جلل

ثم استجاش بكر بن وائل فسار اليهم وقد لجأوا الي كنانة . فاوقع بهم ونجت بنو كاهل من بني أسد فقال .

يالهف نفسي اذ خطئن كاهلا * القاتلين الملك الحلاحلا

* تالله لايذهب شيخي باطلا *

وقد ذكر امرؤ القيس في شعره أنه ظفر بهم فتأبي عليه ذلك الشعراء

قال عبيد .

يإذا الحرفا قتل بيه ادلالا وحيا * أرعمت أنك قد قتلت سراتنا كذبا ومينا

ولم يزل يسير في العرب يطلب النصر حتى خرج الى قيصر ونظرت اليه ابنة قيصر فعشقته وكان ياتيها وتاتيه . وطن (فطن) الطماح بن قيس الاسدى لهما . وكان حجر قتل أباه . فوشى به الى الملك فخرج امرؤ القيس متسرعا فبعث قيصر فى طلبه رسولا فادركه دون انقرة بيوم ومعه حلة مسمومه فلبسها في يوم صائف فتناثر لحمه وتفطر جسده . وكان يحمله جابر بن حني التغلبي فذلك قوله

فاما تريني فى رحالة جابر * على جرح كالقر تخفق أكفاني

فيارب مكروب كررت وراءه * وعان فككت الغل عنه ففداني

أذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شيء سواه بخزان

وقال حين حضرته الوفاة .

(رب خطبة مسحنفرة (١) وطعنة مثعنجرة (٢) وجفنة متحيرة (٣) تبقى غدا بانقرة .)

ويرى أستاذنا الدكتور طه حسين أن كل الحوادث المنسوبة لامريء القيس مدحلة قصد تدعيم القصائد التي انتحلها الرواة له . ويقول فى الادب الجاهلي ص ٢٠٩

---

(١) بديهة منقحة

(٢) نافذة ماضية

(٣) ملآنة يسيل ودكها

« .. من امرؤ القيس ؟ أما الرواة فلا يختلفون في أنه رجل من كندة ولكن من كندة ؟ لا يختلف الرواة في أنها قبيلة من قحطان ، وهم يختلفون بعض الاختلاف في اسمها وتفسير اسمها وفي أخبارها وسادتها ولكنهم على كل حال يتفقون على أنها قبيلة يمانية ، وعلى أن امرأ القيس منها .

فأما اسم امرئ القيس واسم أبيه واسم أمه فأشياء ليس من اليسير الاتفاق عليها بين الرواة ، فقد كان اسمه امرأ القيس . وقد كان اسمه حندجا . وقد كان اسمه قيسا . وقد كان اسم ابيه عمرا ، وقد كان اسم أبيه حجرا أيضا . وكان اسم أمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل وكليب . وكان امرؤ القيس يعرف بأبي وهب ، وكان يعرف بأبي الحارث . ولم يكن له ولد يذكر . وكان يئد بناته جميعا . وكانت له بنت يقال لها هند . ولم تكن هند هذه ابنته ، وإنما كانت بنت أبيه . وكان يعرف بالملك الضليل ، وكان يعرف بذي القروح . وعليك أنت أن تستخلص من هذا الخليط المضطرب ما تستطيع أن تسميه حقائق أو شيئا يشبه الحق . وأي شيء أيسر من أن تأخذ بمذهب كثرة الرواة في أنه حق لا شك فيه ؟ وكثرة الرواة قد اتفقت على أن اسمه حندج بن حجر ، ولقبه امرؤ القيس ، وكنيته أبو وهب ، وأمه فاطمة بنت ربيعة . على هذا اتفقت كثرة الرواة وإذا اتفقت الكثرة على شيء فيجب أن يكون صحيحا أو على أقل تقدير يجب أن يكون راجحا . أما أنا فقد أطمئن إلى آراء الكثرة . أو قد أراني مكرها على الاطمئنان لآراء الكثرة ، في المجالس النيابية وما يشبهها . ولكن الكثرة لا تغني شيئا ، وقد كانت كثرة العلماء تنكر كروية الأرض

وحركتها ، وظهر بعد ذلك أن الكثرة كانت مخطئة.

وكانت كثرة العلماء ترى كل ما أثبت العلم الحديث أنه غير صحيح فالكثرة فى العلم لا تغنى شيئا » . ثم يذكر أنا لا نستطيع ألا الموازنة بين مانزعم أغلبية الرواة وبين مانزعم القلة ، وحتي هذا الموازنة لا نقبلها للامور التي رآها فى انتحال الشعر الجاهلى ، ويخرج من ذلك ألي أن الخلط فى حياة امرىء القيس ونسبه أوضح دليل علي أن الناس لم يعرفوا عنه شيئا الا اسمه وما دار حول اسمه من أساطير .

* * *

ونحن لا نستطيع ألا أن نذهب مذهب الدكتور في استنكار (تخبط الرواة في نسبه ، وفي حوادثه ، فبينما ينسبه الاصمعى فيقول (هو أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ابن عمرو بن معاوية بن ثور ويقول (أن ثورا هو كندة) نجد ابن حبيب يزيد بين ... الحارث بن معاوية وثور بن مرتع بن معاوية بين كندة ، ونجد بعض الرواة يقول (هو أمرؤ القيس ابن السمط ابن امرىء القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور وهو كندة (بينما يقول ابن الاعرابى (ثور هو كندة بن عفير بن الحارث بن مرة بن ... بن ... بن زيد بن عمرو بن ... بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا) . كل هذه الاختلافات فى رواة نسب أمرىء القيس التي ... المرحوم الاستاذ أحمد بن أمين الشنقيطى ، تدل دلالة واضحة علي أن امرأ القيس لم ... متحققا من أخباره فأخباره أدنى مشكوك فيها ، وبهذا يكون الشعر الذى ... علي صحة هذه الاخبار ، موضوع ريبة

انظر الى الرواية التي ذكرها ابن قتيبة عن نشأة امرىء القيس ؟ تجد أنها تعطيك فكرة عنه غير التي تعطيكها الرواية القائلة (أنه نشأ ترعرع علق النساء ، فأكثر الذكر لهن فكره ذلك أبوه حجر (بضم الحاء والجيم) فقال كيف أصنع به فقالوا اجعله في رعاء ابلك حتى يكون في انصب عمل فأرسله في الابل فخرج يرعاها ثم آواها مع الليل وجعل ينيخها ويقول ياحبذا طويلة لاقراب عزيزة الحلاب . كريمة الصحاب . ياحبذا شداد الاوراك . عراض الاحناك . طوال الاسماك . ثم بات ليلة يدور الى متحدثه حيث كان يتحدث فقال أبوه ماشغلته بشيء ، قيل له فأرسله في الخيل وأرسله في خيله ، فمكث بها يومه حتى آواها مع الليل فدنا أبوه حجر يسمع ماذا هو يقول ياحبذا اناثها سماء ، وذكورها ظماء عدة وسماء ، نعم اصحاب راجلا وراكبا ؟ تدرك طالبا وتفوت هاربا . . قال أبوه والله ماصنعت شيئا ؟ فبات ليلته يدور حوالبها فيل له اجعله في الضأن فمكث يرعيها حتى اذا أمسى أراحها فجاء — أمامه جاء خلفها لما دامت المراح ... أبوه يسمع قال أخزاها الله لاتهتدي طريقا ولاتعرف صديقا أحزن الله لا تطيع راعيا ولاتسمع داعيا ثم سقط لينه لايتحرك فلما أصبح قال أبوه احرج بها فمضى حتى بعد من الحى وأشرف على الوادى فجثي في بحر التراب فارتدت وجعل يقول حجر ، حجر ، حجر لامدر هباب لحم ترات الطير والاثار . فلما رأى أبوه ذلك منه وكان يرغب به عن النساء والشعر وأبي أن يدع ذلك وأخرجه عنه فخرج مرغما لابيه فكان يسير في العرب يطلب الصيد والغزل حتى قتل أبوه)

وفى الرواية الاولى تجد أمرأ القيس الشاب عشق زوجة أبيه وطلبها زمانا فلم يصل أليها ، حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان ، فقال فيها معلقته وبلغ الشعر أباه فامر بذبحه فاشفق خادمه وستر أمره . وفى هذه الرواية ونهاه عن الشعر فابى فطرده .... بينما نجد في الثانية . أن أمرأ القيس نفسه لم تمكن خلقه تعشق امرأة أبيه ، الامر الذى لم يكن من دواعى أخلاق العرب (١) بل كان متيما فى الحسان متغزلا بهن كثير الذكر لهن وأن أباه جعله فى رعاء ابله ثم أرسله فى خيله ثم جعله فى الضأن فلما لم يرتدع ولم يشغله الاجتهاد عن ميوله ، طرده !! . وهنا إما أن تكون احدى الروايتين صحيحة وإما تكونا معا غير صحيحتين ونحن نأخذ بالرواية الاولى كأن لنا حكم فى الشعر المنسوب لامرىء القيس غير الحكم الذى نلقيه علينا الرواية الثانية وعبر الحكم الذى ينشأ من نفيهما كليهما . وعلينا إذن درس المعلقة لنرى ما يتصل بهذه الشكوك فيثبتها وما ينفيها لذلك نبدأ بمطلعها .

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل (٢)

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمأل

ترى بعر الآرآم فى عرصاتها * وقيعانها كأنه حب فلفل

كأنى غداة البين يوم تحملوا * لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتجمل

---

(١) من لان الاكبر أن يكون ولي أمرأة أبيه غير امه .

(٢) موضعان .

وأن شفائي عبرة مهراقة * وهل عند رسم دارس من معول (٣)
كدأبك من أم الحويرث (٤) قبلها * وجارتها أم الرباب (٥) بمأسل (٦)
اذا قامتا تضوع المسك منهما * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
ففاضت دموع العين مني صبابة * على النحر حتى بل دمعي محملي
ألا رب يوم لك منهن صالح * ولا سيما يوم بدارة جلجل

يحدثنا انه بدأ ببكاء الحبيب والمنزل الذي ذكر أن الذكرى تهيجه فتجرى دموعه كناقف الحنظل الذى تدمع عيناه من حرارته حين ينقفه ليستخرج حبه، ثم خرج من هذا كله الى ذكر أم الحويرث وأم الرباب خاصا بالذكر يوما بدارة جلجل وما يوم دارة جلجل هذا؟ انه يحدثك عنه في قوله.

ويوم عقرت للعذارى مطيتي * فيا عجباً من كورها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها * وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة * فقالت لك الويلات انك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً * عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها سيري وأرخي زمامه * ولا تبعديني من جناك المعلل
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذي تمائم محول

(٣) معول موضع عويل وبكاء أو سبب يتكل عليه اعتمدت
(٤) امرأة أبيه
(٥) امرأة من كلب
(٦) اسم موضع

فإذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وتحتي شقها لم يحول
ويوماً على ظهر الكثيب تعذرت * على وآلت حلفة لم تحلل
افاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت صرمي فاجملي
وان تك قد ساءتك مني خليقة * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
أغرك مني أن حبك قاتلي * وانك مهما تأمري القلب يفعل
وما ذرفت عيناك الا لتضربي * بسهميك في أعش ار قلب مقتل
وبيضة خدر لايرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت أحراساً اليها ومعشراً * على حراصا لو يسرون (١) مقتلي
اذا ما الثريا في السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح (٢) المفصل
فجئت وقد نضت (٣) لنوم ثيابها * لدى الستر الا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله مالك حيلة * وما إن أرى عنك الغواية تنجلي
خرجت بها تمشي تجر وراءنا * على أثرينا ذيل مرط مرحل
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى * بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل (٤)
هصرت بفودي رأسها فتمايلت * على هضيم الكشح ريا المخلخل (٥)
مهفهفة بيضاء غير مفاضة * ترائبها مصقولة كالسجنجل (٦)
كبكر المقاناة البياض بصفرة * غذاها نمير الماء غير المحلل

---

(١) يقدرون علي قتلي سرا أو جهرا (٢) الوشاح سير من الجلد يرصع بالجوهر (٣) خلعت (٤) انتحى اعترض ، الخبت الارض المطمئنة ، الحقاف الرمال المشرفة ، العقنقل المنعقد منها (٥) هصرت جذبته والفودين جانبي الرأس (٦) المرآة

تصد وتبدى عن أسيل وتتقى * بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش * اذا هى نصته ولا بمعطل
وفرع يزين المتن أسود فاحم * اثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات الى العلا * تضل العقاص فى مثنى ومرسل
وكشح لطيف كالجديل مخصر * وساق كأنبوب السقي المذلل
وتضحى فتيت المسك فوق فراشها * نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبى أو مساويك اسحل
تضيء الظلام بالعشاء كأنها * منارة ممسى راهب متبتل
الى مثلها يرنو الحليم صبابة * اذا ما اسبكرت بين درع ومجول
تسلت عمايات الرجال عن الصبا * وليس فؤادى عن هواك بمنسل
ألا رب خصم فيك ألوى رددته * نصيح على تعذاله غير مؤتل

ومن حديث يوم دارة جلجل ، يوم لقى فيه امرؤ القيس محبوبته عنيزه اذ تقدم الركب وساروا رواحل وتخلف امرؤ القيس [illegible] حتى مرت به النسوة ونزلن فى الغدير تاركات ثيابهن فهجم عليهن وأخذها ، واقسم لا يعطى واحدة ثوبها حتى تخرج متجردة ، فخرجن بعد اليأس الواحدة تلو الاخرى ، ولما كانت عنيزه [illegible] وهو فى حديثه عن يوم دارة يقول

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وتحتى شقها لم يحول

ويريد به نظرها اليه لترضعه ، بينما تصرف ان ولدها يطرحها اذ كان الطفل عند بعض الاعراب لا يزال يلحق خلف أمه . ثم يطأنها بسلمه

ثيابه من ثيابها أي تخلص تمه من قلبها ، ثم يذكر دلالها وحرج لحاظها وانه تجوز في تتمه بها احد اسا يستطيعون منه ثم ذكر ما كان بينه وبينها وخرج من ذلك الى ذكر محاسنها و ... ثم يخرج الى وصف الليل قال ... يقول

وليل كموج البحر أرخى سدوله * علي بانواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي * بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل
كأن الثريا علقت في مصامها * بأمراس كتان الى صم جندل
وقربة أقوام جعلت عصامها * على كاهل مني ذلول مرحل
وواد كجوف العير قفر قطعته * به الذئب يعوي كالخليع المعيل
فقلت له لما عوى ان شأننا * قليل الغنى ان كنت لما تمول
كلانا اذا ما نال شيئاً أفاته * ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل
وقد اغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه * كما زلت الصفواء بالمتنزل
على الذبل جياش كأن اهتزامه * اذا جاش فيه حميه غلي مرجل
مسح اذا ما السابحات على الونى * أثرن غبارا بالكديد المركل
يزل الغلام الخف عن صهواته * ويلوي بأثواب العنيف المثقل
درير كخذروف الوليد أمره * تتابع كفيه بخيط موصل

له أيطلاظبي وساقا نعامة * وارخاءسرحان وتقريب تتفل
ضليع اذا استدبرته سد فرجه * بضاف فويق الارض ليس بأعزل
كان على المتنين منه اذا انتحى * مداك عروس او صلاية حنظل
كان دماء الهاديات بنحره * عصارة حناء بشيب مرجل
فعن لنا سرب كان نعاجه * عذارى دوار في ملاء مذيل
فادبرن كالجزع المفصل بينه * بجيد معم فى العشيرة مخول
فالحقنا بالهاديات ودونه * جواحرها في صرة لم تزيل
فعادى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل
وظل طهاة اللحم من بين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل
ورحنا يكادالطرف يقصر دونه * متى ماترق العين فيه تسهل
فبات عليه سرجه ولجامه * وبات بعيني قائما غير مرسل
أصاح ترى برقا أريك وميضه * كلمع اليدين فى حبي مكلل
يضيء سناه أومصابيح راهب * أمال السليط بالذبال المفتل
قعدت له وصحبتي بين ضارج * وبين العذيب بعدما متأملي
على قطن بالشيم أيمن صوبه * وايسره على الستار فيذبل
فاضحى يسح الماء حول كتيفة * يكب على الاذقان دوح الكنهبل
ومر على القنان من نفيانه * فانزل منه العصم من كل منزل
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة * ولا اطما الا مشيدا بجندل
كان ثبيراً فى عرانين وبله * كبير أناس في بجاد مزمل
كان ذرى رأس المجيمر غدوة * من السيل والغثاء فلكة مغزل

والقي بصحراء الغبيط بعاعه * نزول اليماني ذي العياب المحمل(١)
كان مكاكي الجواء غدية * صبحن سلافا من رحيق مفلفل
كان السباع فيه غرقى عشية * بارجائه القصوى انابيش عنصل

فنجد المعلقة مزيجا من السهولة والصعوبة اللفظية كما انا نجد ها خليطا بين ابيات يتغني بها لرقتها مثل قوله .

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقول وقد مال الغبيط (٢) بنا معا * عقرت بعيرى امرأ القيس فانزل
وقوله .

وماذرفت عيناك الا لتضربي * بسهميك في اعشار قلب مقتل

والعهر مثل قوله فمثلك حبلي قد طرقت ومرضع وقوله سموت اليها بعد ما نام اهلها وابيات لاتتناسب مع شاعر ملكى مثل قوله وقربة اقوام جعلت عصامها الي قوله كلانا اذا ما نال شيئا افاته تخبط فيها الرواه اذ روى الاصمعى وابن قتيبة وابو حنيفة الدينورى هذه الابيات لتابط شرا وزعم السكرى انها لامرىء القيس ونقل عنه الخطيب التبريزى ومحمد ابن الخطاب فى جمهرته ثم نجد خروجا من قصته الي وصف الليل والفرس بلا اتصال بينها بحيث انا اذا فصلنا كل جزء عن سابقه اضحي قائما بذاته . والذى نريد ان نصل اليه ان تضارب الرواة فى رواية تلك المعلقة واختلافهم

---

(٢) كثير المال
(٢) الرحيل

فى نسب كثير من ابياتها لغير امريء القيس يدل على انهم اما ان يكونوا قد انتحلوا القصة طبقا لرواياتهم فيكون لامريء القيس وصف الليل والفرس وان الرواة انتحلوا له وصف الفرس ومزجوها بابيات ظاهر انها طبيعية . ويكون له القصة . واما ان يكونوا نسبوا له مالا يطمئن اليه بحث "



طرفة ابن العبد

يجني النبوغ على كثيرين ، اذ يكون في بعض الاوقات سبب حتفهم . ومن هؤلاء طرفة ، مات شابا صغيرا لا يتجاوز العشرين ، لخيانة عمرو بن هند الذي أسر الضغينة في نفسه وأظهر لطرفة الود والبشاشة ، مرسلا اياه بالبحرين ليقتله . فصدق طرفة ان عمروا رضي ، وان الود بينهما حقيقي ، وانه انما يوصي به في الخطاب خيرا ، فذهب وحمل بنفسه رسالة موته . . والذي يعنينا من طرفة ليس تاريخ حياته ، لانه تاريخ قصير قضاه شاب قليل الاكتراث بالحياة ، غير عابىء الا بجني اللذات ، وانما الذي يعنينا أن نرى فيها مثالا لاضطراب نفس شاعرة بين الحسيات والمعنويات، شاعر تنازع نفسه بين المادة والمعنى ، فتنتصر لديه المادة لقوتها عنده ، ويتخاذل المعنى لضعفه في نفسه . ثم نراه بعد ذلك يحن الى المعنى الذي خذله ولا يواتيه فيجره ظنا منه انه انتصر عليه ثانية ، وهو في الحقيقة ينازع نفسه ، فتغلبه ، فاذا ما غلبته سار في طريقها سيرا حثيثا ممعنا في اللذة غير عابىء بما بعدها . . . لكن الشاعرية تفيض ، اذ تتزاحم المعاني في فكره ، فيخرجها ، أجمل ما تكون ، ويفرج عن نفسه باخراجها وفي اخراجها معنى من معاني اللذة يحسه هو تعويضا [illegible] لانه . . . وهكذا

يعمل فى اخراج معانيه لتي لا نعنيه كلذته ؛ فتخرج واضحة جلية ، صافية نقية . وهو فى هذا وذاك شريف النفس تواق الى العلي ! !

انظر إلي معلقته التي يقول فيها.

لخولة أطلال ببرقة ثهمد * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد
وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد
كأن حدوج المالكية غدوة * خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أومن سفين ابن يامن * يجور بها الملاح طوراً ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها بها * كما قسم الترب المفايل باليد
وفى الحى أحوى ينفض المردشادن * مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد
خذول تراعي ربربا بخميلة * تناول أطراف البرير وترتدى
وتبسم عن ألمى كان منورا * تخلل حر الرمل دعص له ند
سقته أياة الشمس الالثاته * أسف ولم تكدم عليه بإثمد
ووجه كان الشمس ألقت رداءها(١) * عليه نقي اللون لم يتخدد
وأني لامضي الهم عند احتضاره * بعوجاء مرقال تروح وتغتدى
أمون كالواح الاران نصأتها (٢) * على لاحب كأنه ظهر برجد
جمالية وجناء تردى كأنها * سفنجة تبري لأزعر أربد
تباري عتاقا ناجيات وأتبعت * وظيفا وظيفا فوق مور معبد
تربعت القفين في الشول ترتعى * حدائق مولي الأسرة أغيد

---

(١) ويروى حلت رداءها فجعل للشمس رداء استعارة للنور

(٢) نصأتها ونسأتها زجرتها وضربتها بالمنساة

تريع الى صو . المهيب(١)وتتقى * ذى خصل روعات أكلف ملبد
كأن جناحى مضرحى تكنفا * حفافيه شكا فى العسيب بمسرد
فطورا به خلف الزميل وتارة * على حشف كالشن ذاو مجدد
لها فخذان أكمل النحض فيهما * كأنهما بابا منيف ممرد
وطى محال كالحني خلوفه * وأجرنة لزت بدأي منضد
كأن كناسي ضالة يكنفانها * وأطرقسى تحت صلب مؤيد
لها مرفقان أفتلان كأنها * تمر بسلمى دالج متشدد
كقنطرة لرومى أقسم ربها * لتكتنفن حتي تشاد بقرمد
صهابية العثنون موجدة القرا * بعيدة وخد الرجل موارة اليد
أمرت يداها فتل شزر وأجنحت * لها عضداها فى سقيف مسند
جنوح دفاق عندل ثم أفرعت * لها كتفاها فى معالي مصعد
كأن علوب النسع فى دأياتها * موارد من خلقاء في ظهر قردد
تلاقي وأحيانا تبين كأنها * بنائق غر في قميص مقدد
وأتلع نهاض اذا أصعدت به * كسكان بوصى(٢) بدجلة مصعد
وجمجمة مثل العلاة كأنما * وعى الملتقى منها الى حرف مبرد
وخد كقرطاس الشآمي ومشفر * كسبت اليماني قده لم يجرد(٣)

---

(١) تريع ترجع ، والمهيب الذى يصيح بها هوب هوب ، ويعني انها مدربة .
(٢) فى رواية نوتي وهو الملاح
(٣) أى أن الشعر علي القد.

وعيان كالماء يتين استكنتا * بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد
طحور ن و ر القذي بترها * كمكحولي مذعورة أم فرقد
وصادقتا سمع التوجس للسرى * لهجس خفي أو لصوت مندد
مؤللتان تعرف العتق فيهما * كسامعتي شاة بحومل مفرد
وأروع نباض أحذململم * كمرداة صخر في صفيح مصمد
وأعلم مخروت من الانف مارن * عتيق متى ترجم به الارض تزدد
وان شئت لم ترقل وان شئت أرقلت * مخافة ملوي من القد محصد
وان شئت سامي واسط الكور رأسها * وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد
على مثلها أمضي اذا قال صاحبي * ألا ليتني أفديك منها وأفتدي
وجاشت اليه النفس خوفا وخاله * مصابا ولو أمسى على غير مرصد
أذا القوم قالوا من فتى خلت انني * عنيت فلم أكسل ولم أتبلد
أحلت عليها بالقطيع فاجذمت * وقد خب آل الامعز المتوقد
فذالت كما ذالت وليدة مجلس * تري ربها أذيال سحل ممدد
ولست بحلال التلاع مخافة * ولكن متى يسترفد القوم أرفد
فان تبغني في حلقة القوم تلقني * وأن تلتمسني في الحوانيت تصطد
متى تأتني أصبحك كاسا روية * وان كنت عنها ذاغني فاغن وازدد
وان يلتقى الحي الجميع تلاقني * ألي ذروة البيت الشريف المصمد
ندامای بيض كالنجوم وقينة * تروح الينا بين برد ومجسد
رحيب قطاب الجيب منها رفيقة * بجس الندامى بضة المتجرد
اذا نحن قلنا اسمعينا انبرت لنا * على رسلها مطروفة(١) لم تشدد

---

(١) ساكنة الطرف

اذا رجعت فى صوتها خلت صوتها * تجاوب أظآر على ربع رد
ومازال تشرابى الخمور ولذتي * وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي
الى أن تحامتنى العشيرة كلها * وأفردت أفراد البعير المعبد
رأيت بنى غبراء لا ينكروننى * ولا اهل هذاك الطراف الممدد
الا ايهذا الزاجرى أحضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى
فان كنت لا تسطيع دفع منيتى * فدعنى أبادرها بما ملكت يدي
ولولا ثلاث هن من عيشة الفتي * وجدك لم أحفل متى قام عودى
فمنهن سبقى العاذلات بشربة * كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكري اذا نادى المضاف محنبا * كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة (١) تحت الخباء المعمد
كأن البرين والدماليج علقت * على عشر أو خروع لم يخضد
كريم يروى نفسه فى حياته * ستعلم أن متنا غدا أينا الصدي
أرى قبر نحام (٢) بخيل بماله * كقبر غوى فى البطالة مفسد
ترى جثوتين من تراب عليهما * صفائح صم من صفيح منضد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى * عقيلة (٣) مال الفاحش المتشدد
أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة * وما تنقص الايام والدهر ينفد
لعمرك أن الموت ما أخطا الفتى * لكالطول (٤) المرخى وثنياه (٥) باليد

---

(١) فى رواية ببهكلة وبمعنى عظيمة الالواح والعجيزة والفخذين
(٢) بخيل (٣) عقيلة الشيء كريمته وخياره
(٤) حبل تشد به قائمة الدابة ويمسك طرفه وترسل لترعى
(٥) طرفاه

متى ما يشأ يوما يقده لحتفه * ومن يك في حبل المنية ينقد
فمالي أراني وابن عمي مالكا * متى ما أدن منه ينأ عني ويبعد
يلوم وما أدري علام يلومني * كما لامني في الحي قرط بن أعبد
وأيأسني من كل خير طلبته * كأنا وضعناه إلى رمس ملحد
على غير شيء قلته غير أنني * نشدت فلم أغفل حمولة معبد
وقربت بالقربى وجدك إنه * متى يك أمر للنكيثة أشهد
وإن أدع للجلى أكن من حماتها * وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم * بشرب حياض الموت قبل التهدد
بلا حدث أحدثته وكمحدث * هجائي وقذفي بالشكاة ومطردي
فلو كان مولاي امرأ هو غيره * لفرج كربي أو لأنظرني غدي
ولكن مولاي امرؤ هو خانقي * على الشكر والتسآل أو أنا مفتد
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند
فذرني وخلقي إنني لك شاكر * ولو حل بيتي نائيا عند ضرغد
فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد * ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد
فأصبحت ذا مال كثير وزارني * بنون كرام سادة لمسود
أنا الرجل الضرب (١) الذي تعرفونه * خشاش كرأس الحية المتوقد
فآليت لا ينفك كشحي بطانة * لعضب رقيق الشفرتين مهند
حسام إذا ما قمت منتصرا به * كفى العود منه البدء ليس بمعضد
أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة * إذا قيل مهلا قال حاجزه قدي

(١) في رواية الجد وهو المجتمع الشديد

اذا ابتدر القوم السلاح وجدتنى * منيعا اذا بلت بقائمه يدى
. لك هجود قد أثارت مخافتي * بواديها أمشي بعضب مجرد
فمرت كهاة ذات خيف جلالة * عقيلة شيخ كالوبيل يلندد
يقول وقد تر الوظيف وساقها * الست ترى أن قد أتيت بمؤيد
قال ألا ماذا ترون بشارب * شديد علينا بغيه متعمد
وقال ذروه انما نفعها له * وألا تكفوا قاصي البرك يزدد
فظل الاماء يمتللن حوارها * ويسعي علينا بالسديف المسرهد
ان مت فانعيني بما أنا أهله * وشقى على الجيب يا أبنة معبد
ولا تجعليني كامرىء ليس همه * كهمي ولا يغني غنائي مشهدى
بطيء عن الجلى سريع الي الخنا * ذلول بأجماع الرجال ملهد
فلو كنت وغلا في الرجال لضرني * عداوة ذي الاصحاب والمتوحد
ولكن نفي عني الرجال جراءتي * عليهم واقدامي وصدقي ومحتدى
لعمرك ما أمري على بغمة * نهاري ولا ليلي علي بسرمد
ويوم حبست النفس عند عراكه (١) * حفاظا على عوراته والتهدد
على موطن يخشي الفتي عنده الردى * متى تعترك فيه الفرائص ترعد
وأصفر مضبوح نظرت حواره * على النار واستودعته كف مجمد
ارى الموت أعداد النفوس ولا أرى * بعيدا غدا ما أقرب اليوم من غد
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

(١) عند عراكه نفسه ، اذ يقاومها من الانهزام خوف العار

نجد أن معلقة طرفه مع اختلاف الرواة فى اثبات بعض أبياتها مثل بيت (وأصفر مضبوح نظرت حواره الخ) رواه الخطيب ولم يروه الأعلم ورواه السكيت ولم يروه الاصمعى ولا ابن حبيب ولا ابن الاعرابي ، ناسبينه لعدى بن زيد . ومثل قوله (أرى الموت أعداد النفوس) لم يروه الخطيب ورواه السكيت والاعلم وزاد بن الخطيب بيتين .

لعمرك ماالايام الامغارة * فما استطعت من معروفها فتزود

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه * فأن القرين بالمقارن مقتدى

و بيت (حمالية وجناء) لم يروه الاعلم ولا الخطيب ولا ابن السكيت ورواه بعض الرواة أدول بالرغم من هذا الاختلاف وغيره نجدنا مطمئنين كل الاطمئنان عند قراءة المعلقة ، فهى ظاهرة الجاهلية في الفاظها ، ظاهرة صدورها جميعا من قلب شاعر صور التاريخ الادبى لنا صورته الشعرية واضحة جلية اذ بينما نراه يتكلم عن السفينة المحبوبة فمناجاة حسناء ووصف للناقة اذا به يحدثنا عن علو نفسه ومكانته بين قومه ، ويخرج من هذا ألي الحسن فالغناء ، فالاباحة ، فالخمر ، وطلب اللذة الحسية اينما وجدت فالشك فيما بعد الموت .

كريم يروى نفسه فى حياته * ستعلم ان متناعدا أينا الصدى

ويخرج من هذا وذاك الى ذكر مصاحبة ذوي القربى ، ثم الفخر بشجاعته ويختم معلقته بالحكمة الجميلة .

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

يرى استاذنا الدكتور طه حسين أن وصف الناقة الذى يبدأ من قوله .

وانى لامضى الهم عنداحتضاره * بعوجاء مرقال تروح وتغتدى

يضطرنا الى ان نقول ان اكثر اوصاف الناقة هنا اقرب الى ان يكون من صنعة العلماء باللغة منه الى اى شيء آخر ويرى في قوله (ولست بحلال التلاع مخافة) الى قوله (اذا رجعت فى صوتها خلت صوتها) لينا فى غير ضعف وشدة في غير عنف وكلاما لاهو بالغريب الذى لايفهم ولا هو بالسوقي المتبذل ولا هو بالالفاظ رصفت رصفا دون ان تدل على شيء يرى في قوله (ومازال تشرابي الخمور ولذتي) شخصية قوية ومذهبا فى الحياة واضحا جليا مذهب اللهو واللذة يعمد اليهما من لايؤمن بشيء بعد الموت ولايطمع من الحياة الا فيما تتيح له من نعيم بريء من الاثم والعار على ما كان يفهمهما عليه هؤلاء الناس ويرجح بعد ذلك ان فى معلقة طرفة شعرا صنعه علماء اللغة هو هذا الوصف وشعرا صدر عن شاعر حقا هو هذه الابيات الاخيرة وما يشبهها ثم يقول بعد ذلك (لسنا نأمن ان يكون في هذه الابيات نفسها مادس على الشاعر دسا وانتحل عليه انتحالا) !!

وقد الحنا فيما ذكرناه الى ذلك الدس والانتحال الظاهر من بعد الصلة بين الكثير من أبيات المعلقه وبين مانستطيع أن نستخلصه منها معتمدين على ماعرف عن طرفة . فاذا كان هذا التخبط من الرواة فى القصيدة الواحدة لطرفة التي نعدها أولى قصائده ، فهل نثق بما يوردونه عنه من مقطوعات وهى دون مانوصلنا له بصبع أبيات فى المعلقة تصور لنا طرفة شاعراً ، بالمعنى الذي ذكرناه فى أول المعلقة !!

«٣»

زهير بن ابى سلمى

لم يحرص أحد من الشعراء على تنقيح شعره حرص زهير ، اذ كان ينظم القصيدة فى شهر وينقحها فى سنة ثم يعرضها على خواصه ثم يذيعها بعد ذلك فكانت قصائده حوليات ، وهي أربع .

(١) قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلي وغيرها الارواح والديم
(٢) أن الخليط أجد البين فانفرقا * وعلق القلب من أسماء ماعلقا
(٣) ان الخليط ولم يأووا لمن تركوا * وزودوك اشتياقا أية سلكوا
(٤) لمن طلل برعة لايريم * عفا وخلاله حقب قديم

وله خلاف ذلك مقطوعات كلها جيد جميل ، ومن ذلك تشبيهه امرأة بثلاثة اوصاف فى بيت واحد حيث يقول .

تنازعها المها شبها ودر ال * بحور (١) وشابهت فيها الظباء
فأما مافوق العقد منها * فمن أدماء مرتعها الخلاء
وأما المقلتان فمن مهاة * وللدر الملاحة والصفاء

لذا أجمع كل قراء شعره على مدحه ، حتي وصفه عمر بن الخطاب بأنه

---

(١) فى بعض الروايات ، لا سيما رواية ابن قتيبة بحور وشبا كهت ، لكننا نفضل هذه الرواية (٢) موضعان (٣) هى البئر العتيقة .

أشعر الشعراء معللا ذلك بأنه لايعاظل في الكلام ، متجنبا وحشي الشعر ولا يمدح أحداً الا بما فيه وللوصول ألي بهم شيء من شاعرية زهير ، ومن تفريقها عن كثير مما نسب أليه ، نضع أمامك معلقته التي يقول فيها .

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلم (٢)
ودارلها بالرقمتين كأنها * مراجيع وشم في نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفة * وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة * فلأيا عرفت الدار بعد توهم
أثافي سفعا في معرس مرجل * ونؤيا كجذم الحوض (٣) لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها * الا انعم صباحا أيها الربع واسلم
تبصر خليلي هل ترى من ظعائن * تحملن بالعلياء من فوق جرثم
جعلن القنان عن يمين وحزنه * وكم بالقنان من محل ومحرم
علون بأنماط عتاق وكلة * وراد حواشيها مشاكهة الدم
ظهرن من السوبان ثم جزعنه * على كل قيني قشيب ومفأم
ووركن في السوبان يعلون متنه * عليهن دل الناعم المتنعم
بكرن بكورا واستحرن بسحرة * فهن لوادي الرس كاليد للفم
وفيهن ملهى للصديق ومنظر * أنيق لعين الناظر المتوسم
كأن فتات العهن في كل منزل * نزلن به حب الفنا لم (١) يحطم

---

(١) الفنا كما يقول المبرد) شجر يثمر ثمرا أحمر ثم يتفرق فى هيئة الثمر الصغير فهو يشبه مايسقط من أنماطهن اذا انزلن بالعهن الصوف

فلما وردن الماء زرقا جمامه * وضعن عصى الحاضر المتخيم
سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما * تبزل ما بين العشيرة بالدم
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله * رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما * على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا (١) وذبيان بعدما * تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم(٢)
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا * بمال ومعروف من القول نسلم
فأصبحتما منها على خير موطن * بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد هديتما * ومن يستبح كنزا من المجد يعظم
تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت * ينجمها من ليس فيها بمجرم
ينجمها قوم لقوم غرامة * ولم يهريقوا بينهم ملء محجم
فأصبح يجري فيهم من تلادكم * مغانم شتى من إفال مزنم (٣)
ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة * وذبيان هل أقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ما في نفوسكم * ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر * ليوم الحساب أو يعجل فينقم
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم * وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة * وتضر إذا ضريتموها فتضرم

---

(١) قبيلتان (٢) منشم امرأة عطارة كانت تبيعهم من عطرها لموتاهم عندما يهمون لحرب ، فاتخذوها علامة شوم لهم وكناية عن حرب شديدة
(٣) فحل .

فتعرككم عرك الرحي بثفالها * وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشأم (١) كلهم * كأحمر عاد (٢) ثم ترضع فتفطم
فتغلل لكم مالا تغل لأهلها * قرى بالعراق من قفيز ودرهم
لان ثمود عاد الآخرة . وقد يكون السبب التقاء .
لعمري لنعم الحى جر عليهم * بما لا يواتيهم حصين بن ضمضم
وكان طوى كشحا على مستكنة * فلا هو أبداها ولم يتقدم
وقال سأقضى حاجتى ثم اتقى * عدوى بالف من ورائى ملجم(٣)
فشد ولم يفزع بيوتا كثيرة * لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم
لدى أسد شاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم
جرىء متى يظلم يعاقب بظلمه * سريعا وإلا يبد بالظلم يظلم
رعوا ظماهم حتى اذا تم اوردوا * غمارا تفرى بالسلاح وبالدم
فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا * الى كلأ مستوبل متوخم
لعمرك ماجرت عليهم رماحهم * دم ابن نهيك أوقتيل المثلم
ولاشاركت فى الموت فى دم نوفل * ولاوهب منهم ولا ابن المخزم
فكلا أراهم أصبحوا يعقلونه * صحيحات مال طالعات بمخرم
لحي حلال يعصم الناس أمرهم * اذا طرقت احدى الليالى بمعظم

---

(١) غلمان شوم .
(٢) هو قدار بن سالف عاقر الناقة الملقب باحمر من ثمود
(٣) يريد الفرس الملجم أو فرسان الافراس الملجمة

كرام فلاذو الضغن يدرك تبله * ولا الحارم الجاني عليهم بسلم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبالك يسأم
واعلم ما في اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب * تمته ومن تخطيء يعمر فيهرم
ومن لم يصانع في امور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * علي قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه * الي مطمئن البر لا يتجمجم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * وان يرق اسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف في غير أهله * يكن حمده ذما عليه ويندم
ومن يعص أطراف الزجاج فانه * يطيع العوالي ركبت كل لهذم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة * وإن خالها تخفي علي الناس تعلم
وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتي نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم
وأن سفاه الشيخ لا حلم بعده * وأن الفتى بعد السفاهة يحلم
سألنا فاعطيتم وعدنا فعدتم * ومن اكثر التسآل يوما سيحرم

نجد أنه بالرغم من اختلاف الرواة في أكثر أبياتها وتلفيق أبيات منها مثل بيت (فكلا أراهم أصبحوا يعقلونه .) الذى يرويه الخطيب على

صورته الاولى بدما يرويه الاعلم على أن الشطرة الاولى منه صدر بيت والثانيه بحر آحر ، هكذا .

وكلا أراهم أصبحوا يعقلونهم * عله لة ألف بعد ألف مصتم
تساق الى يوم لقوم غرامة * صحيحات مال طالعات بمحرم

واستحال ظ هر في بعض أبياتها مثل (، كأنى رى ن صاحب لك معجب ألي . سالنا فاعطيتم وعدنا فعدتم) حتى أن الاعلم والخطيب لم يروها تجد انفسنا مندفعين ألى الحكم بان معظم أبيات هذه المعلقه لزهير ، لهو بها واستحالة ظهورها الا عن المنسوبة اليه لدقه تصويرها ، روعة وصفها ووفاء قائلها فيها وتصويرها له احسن تصوير ، ولحسن اتصال انتقاله من موضوع لآخر ، اتصال الطبيعة ، لا اتصال التكلف والترقيع كما رأينا فى معلقة امرىء القيس فى الانتقال من ذكر المحبوبه الى وصف الفرس والليل انتقالا مفككا . حتي اذا ماأتينا الى الحكمة ، نجد دروسا لبغة يلقيها علينا أحد فلاسفة الحياة الذين يظهرون في كل جيل وفى كل أمة يرون ثاقب أفكارهم آراء تخالف آراء معاصريهم ؛ وبذا لا نرتاب قط فى ايمان زهير على جاهليته بالبعث

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر * ليوم الحساب أو يعجل فينقم

لا سيما قد ان انكار الايمان بالبعث وبالله وبخلود الروح ، توجد فى كل عصر وفى كل أمة وان اختلفت انواعها وتباينت وسائل فهمها . على انه ليس بدعا ان يتفرد زهير ومثل زهير بنور البصيره فى عصر ظلمة

الجاهلية ! وليس غريبا ولاموضع شك أن يكون هذا قول زهير الحكيم وبذا نرى معظم أشعار زهير صحيح نسبها له ، لأن الرواة وان كانوا قد أبوا الأان ينالوا زهيرا بمثل ما نال غيره منهم ، لكنهم لم يستطيعوا ان يعبثوا بالانتحال له كثيراً كما عبثوا بغيره ، لان شعر زهير قوى متماسك ، تظهر عليه واضحة سوءة الدخيل !!



(٤)

لبيد بن ربيعة

... حدثناك منذ قليل عن نبوغ طرفه ، ولكن هنا نوع آخر من النبوغ نبوغ لبيد يبدأ عنفا وشدة وصرحة داوية فى سبيل تعصبه لقبيلته ونصرتها اذ تقدم لهجو الربيع الذى طمس فى العامريين عند النعمان ، تقدم وهو غلام صغير الى النعمان بن المنذر ليهجو نديمه الربيع بن زياد ، واذا قلت النعمان وربيع فانما أقول مليكا ووزيرا محبوبا يتقدم غلام صغير فيغير عليه قلبه بكلمات قلائل يقولها ، أن هذا لدليل على عبقرية فذة لازمت لبيدا منذ صغره ، عبقرية ليست بهينة لانها غيرت قلب ملك على نديمه (١) ، ولانها بدأت قوية ، وأخذت في النمو والازدياد حتي وصلت الي الحكمة

---

(١) فى قوله .

يارب هيجا هى من دعه * اذ لاتزال هامتي مقزعة

نحن بنى أم البنين الاربعة * ونحن خير عامر بن صعصعة

المطعمون الجفنة المدعدعة * والضاربون الهام تحت الخيضمة

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه * ان استه من برص ملمعه

وانه يدخل فيها إصبعه * يدخله حتى يواري أشجعه

كأنما يطلب شيئا اودعه

نحب أن نقف وقفات أطول عند شعر هذا الشاعر الذى اعجبنا به غلاما ، وكلما تقدمت به السن زاد اعجابنا حتى اذا ظهر النبي الكريم يدعو الى اله واحد يتقدم مؤمنا به ناصراً له متخذاً منه فى حياته نوعا من الشعر غير شعر الكلام ، نوعا من الشعور الروحى شعور النفس بقوة الايمان وشعور الروح بجمال الروحانية . حتى اذا ماقاربته الوفاة نجدنا نحس بالألم يخترق أنفسنا اذ يقول ذاكرى أشد أوقاته وفاء الصداقة وقيام الجوار .

تمني ابنتاى أن يعيش أبوهما * وهل أنا الا من ربيعه أو مضر
اذا حان يوما ان يموت أبوكما * فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى ليس جاره * مضاعا ولاخان الصديق ولاغدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر



وانظر كيف يبدأ معلقة بقوله.

عفت الديار محلها فمقامها * بمنى تأبد غولها فرجامها
فمدافع الريان عرى رسمها * خلقا كما ضمن الوحى (١) سلامها
ومن محرم بعد عهد أنيسها * حجج خلون حلالها وحرامها
رزقت مرابيع النجوم وصابها * ودق الرواعد جودها فرهامها
من كل سارية وغاد مدجن * وعشية متجاوب ارزامها (٢)
فعلا فروع الايهقان وأطفلت * بالجلهتين ظباؤها ونعامها

---

(١) جمع وحى وهو الكتاب
(٢) اكل رزمة أى شديد صوت

والعين ساكنة على أطلائها * عوذاً تأجل بالفضاء بهامها

وجلا السيول عن الطلول كأنها * زبر تجد متونها أقلامها

أو رجع واشمة أسف نؤورها * كففاً تعرض فوقهن وشامها

ثم يخرج بعد ذلك إلى وقوفه يسألها بعد ذكره عفاؤها .

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا * صماً خوالد ما يبين كلامها

عريت وكان بها الجميع فأبكروا * منها وغودر نؤيها وثمامها

شاقتك ظعن الحي حين تحملوا * فتكنسوا قطناً تصر خيامها

من كل محفوف يظل عصيه * زوج عليه كلة وقرامها

زجلاً كأن نعاج توضح فوقها * وظباء وجرة عطفاً أرآمها

حفزت وزايلها السراب كأنها * أجزاع بيشة أثلها ورضامها

بل ما تذكر من نوار وقد نأت * وتقطعت أسبابها ورمامها

فاذا ما وصل الى ذكر نوار هاجته الذكرى فيندفع قائلا .

مرية حلت بفيد وجاورت * أهل الحجاز فأين منك مرامها

بمشارق الجبلين أو بمحجر * فتضمنتها فردة فرخامها

فصوائق أن أيمنت فمظنة * منها وحاف القهر أو طلخامها

فاقطع لبانة من تعرض وصله * ولشر واصل خلة صرامها

واحب المجامل (١) بالجزيل وصرمه * باق اذا ظلعت وزاغ قوامها

بطليح أسفار تركن بقية * منها فأحنق صلبها وسنامها

فاذا تغالى لحمها وتحسرت * وتقطعت بعد الكلال خدامها

(١) الذى يجامل بالمودة

فلها هباب فى الزمام كانها * صهباء خف مع الجنوب جهامها
أو ملمع وسقت لأحقب لاحه * طرد الفحول وضربها وكدامها
يعلو بها حدب لاكام مسحج * قد رابه عصيانها ووحامها
باحزة الثلبوت يربأ فوقها * قفر المراقب خوفها آرامها
حتى اذا سلخا جمادى ستة (١) * جزا فطال صيامه وصيامها
رجعا بأمرهما الى ذى مرة * حصد ونجح صريمة ابرامها
ورمى دوابرها السفا وتهيجت * ريح المصايف سومها وسهامها
فتنازعا سبطا يطير ظلاله * كدخان مشعلة يشب ضرامها
مشمولة غلثت بنابت عرفج * كدخان نار ساطع أسنامها
فمضى وقدمها وكانت عادة * منه اذا هى عردت اقدامها
فتوسطا عرض السرى وصدعا * مسجورة متجاورا قلامها
محفوفة وسط اليراع يظلها * منه مصرع غابة وقيامها
أفتلك أم وحشية مسبوعة * خذلت وهادية الصوار قوامها
خنساء ضيعت الفرير فلم يرم * عرض الشقائق طوفها وبغامها
لمعفر قهد تنازع شلوه * غبس كواسب لا يمن طعامها
صادفن منها غرة فاصبنها * ان المنايا لا تطيش سهامها
باتت وأسبل واكف من ديمة * يروى الخمائل دائما تسجامها
يعلو طريقة متنها متواتر * فى ليلة كفر النجوم غمامها

(١) أراد ستة أشهر آخرها جمادى

يجتاف أصلا قالصا متنبذا * بعجوب أنقاء يميل هيامها
وتضيء في وجه الظلام منيرة * كجمانة البحري سل نظامها
حتى اذا حسر الظلام واسفرت * بكرت تزل عن الثرى أزلامها (١)
علهت تردد في نهاء صعائد * سبعاً تؤاما كاملا أيامها
حتى اذ يئست وأسحق حالق * لم يبله ارضاعها وفطامها
فتوجست رز الانيس فراعها * عن ظهر غيب والانيس سقامها
فغدت كلا الفرجين تحسب أنه * مولى المخافة خلفها وأمامها
حتى اذا يئس الرماة وأرسلوا * غضفاً دواجن قافلا أعصامها
فلحقن واعتكرت لها مدرية * كالسمهرية حدها وتمامها
لتذودهن وأيقنت ان لم تذد * ان قد أحم من الحتوف حمامها
فتقصدت منها كساب فضرجت * بدم وغودر في المكر سخامها
فبتلك اذ رقص اللوامع بالضحى * واجتاب أردية السراب اكامها
أقضي اللبانة لا أفرط ريبة * أو أن يلوم بحاجة لوامها

الى أن يقول مفتخراً بفعاله وقوله وقومه

انا اذا التقت المجامع لم يزل * منا لزاز عظيمة جشامها (٢)
ومقسم يعطي العشيرة حقها * ومغذمر لحقوقها هضامها (٣)

---

(١) قوائمها التي كالازلام أو أظافرها (٢) لزاز الخصوم هو الذي يصلح لان يغلبهم . والجشام هو الذي يتكلف الامور على مشقة (٣) مغذمر من الغذمرة وهي الغضب . والهضام الظالم

فضلا وذوكرم يعين على الندى * سمح كسوب رغائب (١) غنامها
من معشر سنت لهم آباؤهم * ولكل قوم سنة وامامها
لا يطبعون (٢) ولا يبور فعالهم * اذ لا تميل مع الهوى احلامها
فاقنع بما قسم المليك فانما * قسم الخلائق بيننا علامها
واذا الامانة قسمت فى معشر * أوفى بأوفر حظنا قسامها
فبنى (٣) لنا بيتا رفيعا سمكه * فسما اليه كهلها وغلامها
وهم السعاة اذا العشيرة افظعت * وهم فوارسها وهم حكامها
وهم ربيع للمجاور فيهم * والمرملات اذا تطاول عامها
وهم العشيرة أن يبطيء حاسد * أو أن يميل مع العدو لئامها

فأي بلاغة فخر وأي تحدث بالنجدة والكرم وايواء الجار وجزالة القول ، ممزوجا بالالفاظ الجزلة ذات المعاني الدقيقة والمقاصد السامية ! ثم انظر اليه وقد تنازع بين عاطفتين ، عاطفة الوصل وعاطفة رد شريف النفس ، ولم يتردد ان يقول بقطع لبانة من لم يستقم وصله لان خير واصل هو من يحس رضا للقطيعة موضعها ويقول

فاقطع لبانة من تعرض وصله * ولخير واصل خلة صرامها

ثم انظر اليه ذاكرا لك بعد ذلك ان المجامع لا تخلو من رجل من

---

(١) الرغائب جمع الرغيبة وهي العطاء الكثير . والامر المرغوب فيه فضلا نفسها (٢) الطبع تلطخ العرض . البور الفساد . الاحلام العقول
(٣) الضمير يعود على الخالق سبحانه وتعالى

قسلته بقمع الخصوم وبتكاف الخصام ، وان منهم من قسم غنائم الحرب غيور علي العشائر حقوقها ويغضب اذا ضاع شيء منها كما أنه لا يرضى أن تظلم عشيرته فيهضمها حقها اذا اقدمت على الظلم ، فيقول

اما اذا التقت المجامع لم يزل * منا لزاز عظيمة جشامها

ومقسم يعطي العشيرة حقوقها * ومغذمر لحقوقها هضامها

ثم يخرج من هذا وذاك الي الرضي بالقضاء والقدر ، فيقول

فاقنع بما قسم المليك فانما * قسم الخلائق بيننا علامها

وهنا يجب ان نقف لنتساءل هل ذكر لبيد هـذا البيت الدال علي ايمانه بالقضاء والقدر في العصر الجاهلي ، يحملنا نشك في صحته وأمثاله أم لا . أما نحن فنطمئن كل الاطمئنان لاننا نعرف ان لبيـدا كان يميل للحكمة في جميع أشعاره ، والحكمة كما قلنا وكما ذكرنا أول وصل للايمان لان الحكيم يفهم العالم ويدرك انه موجود بموجد ، فاذا أدرك هذا استطاع أن يصل الي ما يوحيه ايمان المؤمن من عقيدة ببقاء الروح وخلودها ومن ايمان بالقضاء والقدر وعدم التبرم بالحياة لادراكه ان الله قسم بيننا الا ور كما تقتضيه حكمته لامر يعلمه هو ولا نستطيع نحن الوصول الى سر حكمته !

لذا نجد في شعر لبيد كثيرا من الحكمة مثل قوله في رثاء النعمان

الا تسألان المرء ماذا يحاول * أنحب فيقضى أم ضلال وباطل «١»

«١» المحاولة استعمال الحيلة . النحب النذر

أرى الناس لا يدرون ماقدر أمرهم * بلى كل ذي لب الي الله واسل(١)
ألا كل شيء ماخلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
وكل اناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل (٢)
وكل امرىء يوما سيعلم غيبه * اذا كشفت عند الاله الحصائل(٣)

ونجده يقرر فيه اموراً اسلامية اذ يقول سلوا هذا الحريص على الدنيا الراغب فيها هل يعمل نذرا يلزمه عمله أم هو ضلال باطل من من أمره ، الا ان الدنيا حقيرة سريعة الزوال فالعاقل من يتوسل الى الله بطاعته وامتثال أوامره بعمله الصالح واجتناب نواهيه بابتعاده عن المنكرات ، فالكل زائل ، وجميع ماقي العالم باطل مضمحل ، وليس من دائم غيرالله تعالي ، حتي اذا اذن مؤذن الموت تبينت اذ ذاك للانسان حسناته وسيئاته . ولكن مع هذا ، يكفي قلنا ان هذه المعاني ظهرت في النفس الانسانية قبل ظهور الاسلام ، لان الاسلام لم يجيء بكل الفضائل الانسانية والمعاني الروحانية دفعة واحدة ، بل أتى ليتمها ويكملها . اذن وجود هذه المعاني لايريبنا في معلقة لبيد ، ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير كلمة قالها شاعر قول لبيد (الا كل شيء ماخلا الله باطل) وهذه خير شهادة بورود هذه المعاني في معلقة لبيد . وبما أن المعروف عن لبيد

---

(١) الواسل الطالب والراغب الى الله (٢) الدويهيه الامر العظيم ويقصد به الموت . الانامل الاطراف (٣) جمع حصيلة والمراد الحسنات والسيئات

انه لم يقل فى اسلامه شعراً الا قوله

الحمد لله الذى لم يأتني أجلي * حتي كساني من الاسلام سربالا

فى رواية . وقوله فى أخرى

ماعاتب الحر الكريم كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح

وقوله الابيات التي ذكرناها عند وفاته . يعزز هجره الشعر

وقوله لعمر بن الخطاب حينما سأله ان ينشده من شعره « ما كنت لأقول شعراً بعد اذ علمني الله سورة البقرة » فاذن فجميع شعره جاهلى . وهو وان يكن كجميع الشعر الجاهلي لا يخلو من بعض أبيات منحولة ، لكنه في مجموعه للظروف التي أحاطت به يضيق الخناق على المنتحلين لأنهم لن يجدوا فيه الميدان الفسيح الذي وجدوه فى غيره ، ولان شاعريه لبيد من تلك الشاعريات المعقدة التي لايسهل تقليدها لانه كرهير تظهر نبوة الدخيل في شعره ، ويزيد عنه انه صحابى جليل تحول مكانته بين كبار الرواة وبين الانتحال له ،

ان كانت لم تحل بين صغار النفوس منهم اذلم تحل مكانة النبي بين كذب الرواة عليه ، ولكن حتى هؤلاء كان المجال أمامهم ضيقا ! ..

كلمة مجملة

عن باقي أصحاب المعلقات السبع

١ — عمرو بن كلثوم

.. هنا رواية قصصية ، اذ يقول الرواة أن مهلهلا لما تزوج هند بنت عتيبة ولدت له جارية ، فأمر أمها بقتلها ، واذا بهاتف به في نومه يهتف به قائلا

كم من فتى مؤمل * وسيد شمردل
وعدد لا يجهل * في بطن بنت مهلهل

فلما استيقظ سأل عنها فقالت أمها . قتلتها ، فقال . لا ، واله ربيعة !.
ثم كبرت البنت وتزوجها كلثوم بن مالك . وعند حملها بعمرو هتف بها هاتف

ياالك ليلى من ولد * يقدم اقدام الاسد
من جشم فيه العدد * أقول قولا ، لافند

وعند ولادته قال لها هذا الهاتف

أنا زعيم لك أم عمرو * بماجد الجد كريم النجر
أشجع من ذى لبد هزبر * وقاص أقران شديد الاسر
يسودهم في خمسة وعشر

قال الرواة . وسادهم وهو ابن خمس عشرة سنة ! ثم حدثنا أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه الدينوري فى كتابه الشعر والشعراء عن حديث قتل عمرو بن كلثوم بعمرو بن هند الملك حينما طلب ان تزور أم بن كلثوم أمه وأوعز اليها أن تستخدمها ، فدعا بمائدة ونصبها ثم دعا بالطرف فقالت هند أم الملك لضيفتها يا ليلى ناولني ذلك الطبق فقالت لتقم صاحبة الحاجة الي حاجتها فاعادت عليها ، فلما ألحت صاحت ليلي وأذلاه ، يالتغلب ، فسمعها ولدها فثار الدم في وجهه فقام الى سيف معلق لعمرو بن هند بالرواق فضرب به رأس الملك حتي قتله » !

فأنت ترى خيالا بعيداً فى حديث الهاتف ، وترى مغالاة فى قصة شجاعة عمرو ومغالاة فى اظهار ظلم عمرو بن هند ، لان المعروف عن العرب اكرام الضيف ، وليس من اكرام الضيف فى شيء أن يطلب منه ان يخدم المضيف ، كما أنه اذا فرض وأراد الملك اذلال أم بن كلثوم بخدمتها لامه فان وسائل الاذلال كثيرة ، ليس منها هذه الوسيلة التي تنفر منها نفوس العرب كما نعلم من تاريخهم . . فهنا « بطل » من أبطال القصص ، بطل لانستطيع أن نستخرج من روايات الرواة عنه شيئا ، فبالاحرى لا نستطيع ان نجزم بنسبة ما ينسب اليه من شعر . علي أن المعروف من روايات الرواة أن بن كلثوم كان عظيما ، شريفا ، فارساً ، شغلته الرياسة وخوض الحروب عن قول الشعر حتي أن خير ماينسب له معلقته المبنية على فخره بشجاعته وتعديد مآثر قومه ، انظر اليه مثلا وهو يقول فى معلقته

ألا هبي بصحنك (١) فاصبحينا (٢) * ولا تبقي خمور الاندرينا (٣)
مشعشعة (٤) كان الحص فيها * اذا ما الماء خالطها سخينا
تجور بذى اللبانة عن هواه * اذا ماذاقها حتى يلينا
ترى اللحز الشحيح اذا أمرت * عليه لماله فيها مهينا
صبنت (٥) الكأس عنا أم عمرو * وكان الكأس مجراها اليمينا
وماشر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لاتصبحينا
وكأس قد شربت ببعلبك * وأخرى فى دمشق وقاصرينا
وأنا سوف تدركنا المنايا * مقدرة لنا ومقدرينا
قفي قبل التفرق يا ظعينا * نخبرك اليقين وتخبرينا
قفي نسألك هل أحدثت صرما * لوشك البين أم خنت الامينا
بيوم كريهة ضربا وطعنا * أقر به مواليك العيونا
وان غدا وان اليوم رهن * وبعد غد بما لا تعلمينا
تريك اذا دخلت علي خلاء * وقد أمنت عيون الكاشحينا
ذراعى عيطل ادماء بكر * هجان اللون لم تقرأ جنينا
وثديا مثل حق العاج رخصا * حصانا من أكف اللامسينا
ومتني لدنة سمقت وطالت * روادفها تنوء بما ولينا
وماكمة يضيق الباب عنها * وكشحا قد جننت به جنونا

---

(١) الصحن ، القدح العظيم (٢) اسقينا الصبوح وهو ما أصبح عندهم من الشراب (٣) قرية بالشام (٤) ممزوجة (٥) صرفت

وساريتي بلنط أو رخام * ين خشاش حليهما رنينا
فما وجدت كوجدي أم سقب * أضلته فرجعت الحنينا
ولا شمطاء لم يترك شقاها * لها من تسعة الا جنينا
تذكرت الصبا واشتقت لما * رأيت حمولها أصلا حدينا
فأعرضت اليمامة واشمخرت * كأسياف بأيدى مصلتينا
أبا هند فلا تعجل علينا * وأنظرنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضا * ونصدرهن حمراً قد روينا
الى أن يقول
ألا لا يعلم الاقوام أنا * تضعضعنا وأنا قد ونينا
الا لايجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا
بأي مشيئة عمرو بن هند * نكون لقيلكم فيها قطينا
بأي مشيئة عمرو بن هند * تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تهددنا وأوعدنا رويداً * متي كنا لامك مقتوينا
فان قناتنا يا عمرو أعيت * على الاعداء قبلك أن تلينا
اذا عض الثقاف بها اشمأزت * وولتهم عشوزنة زبونا
عشوزنة اذا انقلبت أرنت * تشج قفا المثقف والجبينا
الى أن يقول في خاتمتها
وقد علم القبائل من معد * اذا قبب بابطحها بنينا (١)

---

(١) الابطح والبطحاء مسيل واسع فيه دقاق الحصي

وانا المطعمون اذا قدرنا * وأنا المهلكون اذا ابتلينا
وأنا المانعون لما أردنا * وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التاركون اذا سخطنا * وانا الآخذون اذا رضينا
ونشرب ان وردنا الماء صفواً * ويشرب غيرنا كدراً وطينا
اذا ما الملك سام الناس خسفاً(١) * أبينا أن نقر الذل فينا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظلمنا * ولكنا سنبدأ ظالمينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا * ونحن البحر نملؤه سفينا
اذا بلغ الرضيع لنا فطاما * تخر له الجبابر ساجدينا

فتجد شكا شديداً ناتجا عن انتقال كثير في القصيدة من الشدة في اللفظ الي الليونة فيه ، هذا علي أن القدماء أنفسهم شكوا في نسبة كثير من أبيات هذه المعلقة لصاحبها اذ يروون ان الابيات الثلاثة من قوله (صبنت الكأس عنا أم عمرو) الي قوله (وكأس قد شربت ببعلبك) ليست له بل هي دخيلة علي قصيدته اذ أنها لعمرو بن عدى اللخمي بن أخت جذيمة الابرش ، ويروون أن الجن خطفته فرعى مالك وعقيل تسقيهما أم عمرو هذه صبنت الكأس عنه فلما قال البيتين الاولين سقته الخ القصة . هذا علي سقوط أبيات كثيرة من معظم الروواة ، وانكار بعض المتقدمين بعض أبيات مثل انكار المفضل الضبى بيت

لنستلبن أفراساً وبيضا * وأسرى في الحديد مقرنينا

وقوله ان هذا البيت ليس من القصيدة

ب ـ عنترة بن شداد

و «عنترة» بطل من أبطال الحروب ، غالي الفاطميون في ذكر حوادث شجاعته وعلوه دوانا لايخفى على صبي ن الكاتب انه محول لان القصص التي تحدث عنها تمت الى خرافات العجائز بسبب كبير ، واصل أعظم قصيدتين له ، لعائية التي يقال ن . بيها سمية امرأة أبيه اذا دعت أنه راودها عن نفسها فأعضبت بذلك أباه عليه ، تضربه مريدا قتله فوقعت عليه سمية التي يقال انها كفت عن عنترة لا و فقال

أمن سمية دمع العين مدروف * لو أن ذا منك قبل اليوم معروف

والمعلقة التي كانت أول ماقاله وسببها كما يقولون ن رجلا عيره بسواده وعدم قول الشعر فجادت قريحته بها وقال

هل غادر الشعراء من متردم * ام هل عرفت الدار بعد توهم

أعياك رسم الدار لم يتكلم * حتي تكلم كالاصم الاعجم

ولقد حبست بها طويلا ناقتي * أشكو الى سفع رواكد جثم

يا دار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

دار لآنسة غضيض طرفها * طوع العناق لذيذة المتبسم

ثم ختمها بقوله

ولقد خشيت بأن اموت ولم تدر * للحرب دائرة علي ابني ضمضم

الشاتمي عرضي ولم أشتمهما * والناذرين اذا لقيتهما دمي

أن يفعلا فلقد تركت أباهما * جزر السباع وكل نسر قشعم

المعلقة على مافيها من ذكر خصاله ومكارم قومه ودفاعه عنهم وتعريجه

على وصف امور كثيرة ،على مافيها من سهولة الالفاظ والشدة في الحماسة والفخر وانسجام تبه لشاعريه بطل مثل عنترة . لم تخل من عبث الرواة بزيد. رأيا اذا شاءوا ينشدها اذا أرادوا ويحشرها بعضهم منه لاغلب والزروني الأبيات كالتي ذكرناها بيما يحشرها مثل محمد بن خطاب بعد (ولقد كررت المهر) اربعة ابيات غير الثلاثة التي ذكرناها

ذ تتقي عمرو ودعي عدوة * حذر الاسنة اذ شمر عن لد هم

يحمي كتيبته وسمي حالفها * يقري عوانقها كاغ الادم

ولقد كشفت الخدر عن مربوبة * ولقد رقدت على أو شمر معصم

ولرب يوم قد طويت وليلة * عسور ذي بارقين مسوم

فهل أنت أن ستنتج من هذا الخلط شيئاً !!

الحارث بن حلزه

هذا شاعر أبرص رتجل معلقته (آذنت ببينها أسماء) بين يدي عمرو ابن هند في خصومة كانت بين بكر وتغلب . والمعلقة طويلة نذكر مطلعها

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء

وقوله فيها وهو خير ماقيل في وصف التأهب للرحيل

أجمعوا أمرهم عشاء فلما * أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

من مناد ومن مجيب ومن تصـ * هال خيـل خلال ذاك رغاء

ونرى أن سبب الاقوي لهـذا الترجيح قوة المعلقة في أحكام نظمها وكثرة غريبها وشمالها على الكثير من وقائع العرب مالا يحكمه الارتجال الذي زعمه الرواة للحارث

(تم بحمد الله)

الخـــاتمه

ولم نرد بما كتبنا غير أن نرى منهجاً من مناهج البحث الجديدة وطريقة طريفه لدراسة الشعر والشعراء ، لذلك أتينا بذكر أصحاب المعلقات وكنا نود أن يطول بنا الوقت لذكر الاعشى ميمون والنابغة الذبياني وعبيد ابن الابرص وغيرهم من شعراء الجاهلية ، ولكنا فضلنا أن يكون البحث قاصراً على السبعة الذين ذكرنا ، راجين أن تتاح لنا الفرصة فى وقت أطول من الساعات التى كنت أختلسها من وقتي لدراسة هؤلاء الشعراء دراسة تمهيدية لا يقصد منها أشباع رغبة قارئها ، بل اعطاءه فكرة عامة عن السبيل الى المباحث كما نرجو أن نكون قد وفقنا فيما أردنا من تمهيد وما قصدنا من توطئه والسلام

محمود علي قراعه